أميلي

ماري غواشون

AMÉLIE-
MARIE
GOICHON

الكتاب : **أميلي ماري غواشون**
المؤلف : **زهية جويرو**
الطبعة : الأولى 2022
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2022MO3527
الترقيم الدولي : 978-9920-677-47-9

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

أميلي
ماري غواشون

AMÉLIE-
MARIE
GOICHON

زهية جويرو

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبـــة 7
مقدّمة..... 9
الفصل الأول : حياة أميلي ماري غواشون..... 15
الفصل الثاني : أعمال أميلي ماري غواشون العلمية 27
الفصل الثالث : نماذج من كتاباتها..... 71
الفصل الرابع : مختارات مما كتب عن أميلي ماري غواشون 81
الخاتمة 113
فهرست القائمة البيبليوغرافية 115

عتبــة

يصـدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهــد العالــم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العــرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة

على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تماماً أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشيناً لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة	مدير عام المعهد
عبد العزيز السبيل	معجب الزهراني

مقدّمة

لا تتوافر فيما هو متداول من ترجمة المستشرقة الفرنسية أميلي ماري غواشون (Amélie Marie Goichon) معلومات وافية تسمح بإعادة بناء سيرة حياتها بتفصيل، ولم نقف على سيرة ذاتية لها، بل إن ما يتوافّر هو نتف من المعلومات المتفرّقة في أنواع مختلفة من المراجع، أوسعها ما ورد في باب التعريف بها ضمن "معجم المستشرقين الناطقين باللغة الفرنسية"[1] وهو لا يتجاوز صفحة واحدة، وما ورد في "معجم أسماء المستشرقين" ليحيى مراد[2] وهو فقرة قصيرة في ترجمتها. أما الأغلب الأعم من الصفحات الأربع المخصّصة لها فهو مجرد عرض بيبليوغرافي بعناوين مؤلفاتها،

(1) François Pouillon(éd) Dictionnaire des orientalistes de langue française, ed. Karthala, 2008, pp 452- 453,
وقد كتب ترجمة غواشون كل من آلان مسعودي وميشال سالّاس Alain Messsaoudi et Michèle sellès، وقد ورد ما جاء في هذه الترجمة نفسه في كتاب ألان مسعودي، وهو في الأصل تكملة لأطروحته في الدكتورا بعنوان: "المستعربون وفرنسا الاستعمارية" les arabisants et la France coloniale, Annexe; Lyon, ENS éditions; 2015, p180-181

(2) يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، كتب عربية، القاهرة، صص 420-423

وهذه المادة نفسها استعادها عبدالرحمن بدوي في معجمه "موسوعة المستشرقين"[1] الذي اعتمد فيه على "معجم التراجم الفرنسية لمورينبارت[2]. وبالمقارنة مع ما يتوفر عن غيرها من المستشرقين الفرنسيين ممن عاصروها يمكن أن نقول إنّها لم تنل حظّها من العناية بسيرتها ولا بمؤلّفاتها رغم أنّ ما تركته من أعمال كثيرة ومتنوعة في مجال اختصاصها يفترض أن تلقى عناية أكبر مما لقيت. ويدعو ذلك إلى التساؤل عن أسبابه وعمّا إذا كان هذا التجاهل النسبي تعبيرًا عن نوعية أعمالها أم كان تعبيرًا عن موقف منها ومن كتاباتها ومواقفها، أم هو تجاهل متأت من ذهنية ذكورية كانت ما تزال فاعلة في السياقات الاجتماعية التي عاشت فيها وعاصرتها. وهذا لا يمكن القطع فيه بجواب معيّن إلا في القسم الذي سنخصّصه لدراسة أعمالها. ونظرًا لهذا النقص يظلّ ما أشارت إليه هي نفسها من بعض وقائع حياتها فيما تركته من كتابات وآثار أوثق ما يمكن أن يتوفّر من معلومات عن سيرتها. ومما يؤكّد هذا الاختيار المنهجي أن سيرة حياتها تبدو منذ الوهلة الأولى مرتبطة كل الارتباط بما ألّفت وما نشرت، ذلك أنّها كرست حياتها للعلم والبحث وظلّت متفرغة لهما ولم يعرف عنها انشغال بغيرهما

(1) عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقّحة ومزيدة، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993، صص 191–192

(2) T. Morenbert: Dictionnaire de biographies françaises, T. 16, col. 503, Paris, 1985.

إلى أخريات حياتها، وهو الأمر الذي يجعل تاريخ مؤلفاتها مـــرآة تعكس تاريـــخ حياتهـــا، مثلما يجعل كتاباتها نفسها المرجع الأنســـب لإعـــادة بنـــاء سيرة حياتهـــا، خاصّة وأنّها تفرغت للعلم والتأليف فظلّت عزباء طيلة حياتها وفقًا لما جاء في معجم فرانسوا بويّون، مثلما ظلت كاثوليكية ملتزمة وشديدة الحماس[1].

فضلًا عن ندرة المعلومات الخاصة بسيرة أميلي ماري غواشون، يبدو أنّ من العوامل التي صعّبت الوصول إلى ما قد يكون متوافّرًا عن هذه المستعربة من تراجم أو معلومات باللغة العربية، الطرقَ المختلفة التي يكتب بها اسمها. فهي عند بعضهم جواشون[2] وعند آخرين جواشوان[3]. لذلك، وبناء على ما هو معمول به من قواعد في مقابلة الحروف اللاتينية بالحروف العربية[4] اخترنا أن يكون اسمها بالحروف العربية غواشون.

بقدر ما ساهمت مؤلفات أميلي ماري غواشون مساهمة فعالة في وضع قواعد اثنولوجيا وأنثروبولوجيا العالم الإسلامي في قسمه

(1) Alain Messoudi: les arabisants et la france coloniale, Annexes, ENS éditions, 2015, P181

(2) عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، 1992، ص 190-191

(3) يحيى مراد: مرج سابق، ص 420

(4) اعتمدنا في هذا الشأن على القواعد المعمول بها والتي تتبناها مؤسسة بريل في أهم مرجع يخص الثقافة الإسلامية وهو "دائرة المعارف الإسلامية" L'Encyclopédie de l'Islam

العربي خاصة، ساهمت كذلك في تمثيل خصائص الكتابة الاستشراقية حول العالم الإسلامي وثقافته ومجتمعاته على امتداد أزيد من نصف قرن سواء من جهة ما استخدمته من أدوات ومقاربات ومفاهيم وتصورات، أو من جهة تمثيل الرؤية الغربية لبلاد العرب وثقافتها وقضاياها.

لقد عايشت ماري غواشون وضعيات مختلفة مرّت بها البلدان العربية، فمن وضعية الاستعمار الغربي المباشر، إلى وضعية الاستقلال وما نشأ في إطارها من مشاريع وطنيّة تصبّ جميعها في المشروع الأكبر آنذاك وهو وضع قواعد بناء الدولة الوطنية ومؤسّساتها وأنظمتها، فإلى وضعية عالمية جعلت منه محوراً من محاور النزاعات العالمية الكبرى، سواء بسبب الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وما أنتجه من وضع حربي لا يكاد ينتهي تمسّ آثاره كل المنطقة العربية تقريبًا، أو بسبب الصراع العالمي على مصادر الطاقة والثروات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة، أو بسبب الصراعات الداخلية بين العديد من البلدان العربية لأسباب يعود بعضها إلى مخلفات الاستعمار الغربي. ونحن نذكر هذه السياقات التاريخية التي عاصرتها الآنسة غواشون؛ لأنّ كثيراً من أعمالها حمل أصداء معايشتها لتلك السياقات ولهذه الوضعيات، وخاصة في تلك التي تتصل بطريقة أو بأخرى بتاريخ البلدان العربية المعاصر وبقضاياه وأوضاعه.

كان تكوين هذه الباحثة منغرسًا في سياق يتّسم بالهيمنة

الاستعمارية الفرنسية على أحد أهم المجالات التي اشتغلت عليها وهو المجال المغربي وعلى بعض مناطق الشرق الأوسط. ولذلك نفترض أنّ الإيديولوجيا الاستعمارية قد تكون مثّلت أحد روافد تفكيرها، ففي سياق تاريخي لم تكن خلاله المعرفة بالمغرب العربي وبأهله وعاداتهم وتقاليدهم ومؤسّساتهم ونظمهم مجرّد مطلب معرفي فحسب، بل إنّه كان إلى ذلك مطلب دولة ترنو إلى بسط هيمنتها وتثبيتها على هذه المنطقة بأقل ما يمكن من الكلفة ومن الخسائر المادية والبشرية، وهذا يدعو إلى استبعاد نسبي لمقاربة استشراقية أكاديمية محضة في تعامل أميلي ماري غواشون مع الموضوعات التي اشتغلت عليها، وفي كل الأحوال تكشف أعمالها عن الآليات الفكرية والإيديولوجية التي بنى بها الاستشراق الفرنسي وأنتج التمثّلات الغربية للعرب وللبلاد العربية. إضافة إلى ذلك نفترض أنّ ما عرفت به هذه المستشرقة من التزام ديني كان هو الآخر رافدًا يستوجب أخذه بعين الاعتبار في دراسة رؤيتها للبلاد العربية وأوضاعها وقضاياها وثقافتها. هذا وقد سمح لها تكوينها وما قضته في العديد من المناطق العربية في رحلات علمية أو في مهمات رسمية بالجزائر والمغرب وتونس ومصر ولبنان والأردن وفلسطين، بأن تتقن اللغة العربية وتعقد علاقات مع المجتمعات المحلية بدت، من خلال بعض أعمالها، وثيقة، وهذا يمثّل هو الآخر رافدًا من الروافد التي لا شكّ في أنها ساهمت في توجيه رؤيتها إلى العالم العربي وقضاياه.

أما في أعمالها فقد جمعت الآنسة غواشون بين الدراسات والتحقيقات الميدانية التي أتاحت لها جمع المعطيات والمشاهدات وترتيبها ودراستها واستنطاق دلالاتها من أجل بناء صورة واقعية عن الميادين التي اشتغلت عليها، مثلما فعلت في دراساتها عن النساء في المجتمعات المغربية وخاصّة في مجتمع النساء بمنطقة المزاب بالجزائر، وفي المجتمع الفاسي بالمغرب الأقصى وعن الأردن وأوضاعها منذ أن وضعت اللبنات الأولى للمملكة الأردنية الهاشمية وصولًا إلى عصر تأليف الكتاب ونشره في أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن المنصرم، وعن أوضاع فلسطين والفلسطينيين واللاجئين منهم خاصّة، وعن وضع مدينة القدس زمن بسط هيمنة الاحتلال الإسرائيلي عليها، هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإنها اعتنت بإعادة بناء الأفكار والمعارف بالاعتماد على نصوص قديمة أساسًا وبعض النصوص الحديثة من الثقافة العربية وعلى أعلام من فلاسفتها أو مفكريها، فكأنّ بهذه المستشرقة قد بنت موضوعها عبر رحلتين، رحلة في المكان حملتها إلى الحقول التي اشتغلت عليها ميدانيا وجمعت معطياتها، ورحلة في الزمان أخذتها إلى نصوص قديمة أعادت قراءتها وترجمتها إلى الفرنسية من أجل أن تعيد بناء هذا الفكر ليكون أكثر قابلية للفهم الغربي، وفي هاتين الرحلتين كانت نظريات الاستشراق التي تشكلت خلال النصف الأول من القرن العشرين هي الإطار المرجعي الموجّه للفهم ولبناء المعرفة بالعالم العربي وثقافته ونصوصه.

الفصل الأول
حياة أميلي ماري غواشون

في باب التعريف بها اقتصر عبدالرحمن بدوي في موسوعته على الإشارة إلى صفتها، فهي "مستشرقة فرنسية" وإلى مجال اختصاصها وهو "الفلسفة الإسلامية وابن سينا خاصة" على حدّ عبارته. ولكنّه عند استعراض ما خلفت من آثار نتبيّن أن انشغالها بابن سينا وفلسفته لم يستغرق سوى مرحلة من مسيرتها البحثية، بينما انشغلت في مراحل أخرى بموضوعات على غاية من التنوع وإن ظلت تدور بطبيعة الحال حول الحقل العام الذي جعل منها عَلَمًا من أعلام الاستشراق الفرنسي، وهو حقل الدراسات العربية، حيث اعتنت بالنساء وأوضاعهن في أكثر من مكان من المغرب العربي وبنظرة الإسلام إليهن، واعتنت بالأردن وتاريخه الحديث وبفلسطين والقدس والمهاجرين وبالتاريخ المعاصر لعدد مهم من البلدان العربية، كما اعتنت بعلاقة فرنسا بالبلدان العربية، وبنظرة المسيحية إلى الإسلام وبموقف المسيحيّين منه وإلى غير ذلك من الموضوعات.

اتفق كل من ترجموا لها على تاريخي ميلادها ووفاتها ومكانيهما، فقد ولدت أميلي ماري غواشون ببواتيي Poitiers

بفرنسا في الثامن من شهر يناير من سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف وتوفيت بباريس في الثامن من أغسطس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف. بينما انفرد معجم فرنسوا بويّون françois Pouillon بالإشارة إلى أنها كانت ابنة محام ببواتيي Poitiers حيث درست وتحصّلت على إجازة في اللغة الإنجليزية سنة 1920، كما تحصّلت في السنة الموالية على شهادة أهلتها لتولّي وظيفة أمانة مكتبة. وهي الوظيفة التي افتتحت بها مسارها المهني أمينة لمكتبة كليّة الآداب ببوردو. وهناك عرفت حياتها تحولًا كبيرًا سيجعل منها لاحقًا واحدة من أعلام الاستعراب الفرنسي. إذ منذ إشرافها على المكتبة بدأت تعلّم اللغة العربية وتابعت دروس فيغالي[1] وتخصّصت في الأدب العربي لتتوّج دراستها بالحصول على ليسانس سنة 1926، ثم واصلت تخصصها هذا بالسربون Sorbonne حيث حصلت على دبلوم الدراسات العربية العليا سنة 1928 ومنها اشتغلت على أطروحة لنيل شهادة الدكتورا في الأدب العربي حتى حصولها عليها سنة 1938. وهكذا بلغت أميلي ماري غواشون أعلى الدرجات في مسارها الدراسي. في الأثناء نشرت الآنسة غواشون أول مؤلفاتها وذلك سنة 1921 وكان عنوانه " "إرنست

(1) فغالي، طانيوس ميشال: (1877-1945) من أصل لبناني، درّس العربية بجامعة بوردو، ثم بمعهد اللغات الشرقية بباريس لساني مختص في دراسة اللهجة اللبنانية، انظـر: ألان مسـعودي (2015) م.س. ص 166_167

بسيكاري من خلال وثائق غير منشورة" بتقديم لجاك ماريتان Jacques Maritain.[1] وبتقويم من لويس ماسينيون[2] للفصل الذي خصصته "لأصدقاء بسيكاري المسلمين" وقد حصل هذا الكتاب على جائزة الأكاديمية الفرنسية ولقي قبولًا حسنًا، مما فتح أمامها الأبواب لتبدأ حياتها المهنية عندما تولت الإشراف على مكتبة كلية الآداب ببوردو بين 1921 و1923 ثم تحصّلت على تعيين بكلية الطب بباريس حيث ظلت تعمل أمينة لمكتبتها إلى حدود تقاعدها من هذه الوظيفة سنة 1959. في الأثناء تحصلت على إقامة بحثية ببضعة أشهر بمنطقة المزاب بالجزائر، فكانت هذه الإقامة وما أثمرته افتتاحًا رسميًّا لمسارها بوصفها مستعربة بكتابها: "حياة النساء بمنطقة المزاب، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام"، الصادر سنة 1927، ثم أردفته بجزء ثان ملحق به سنة 1931 كانا نتاج دراسة ميدانية حملتها إلى

(1) ولد بباريس سنة 1882 وتوفي سنة 1973 كان فيلسوفًا مختصًا في طوما الإكويني، ر. Van Steenberghen Fernand. In memoriam. Jacques Maritain. In: *Revue Philosophique de Louvain*. Quatrième série, tome 71, n°11, 1973. pp. 644-650. www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1973_num_71_11_5756

(2) Goichon, Amélie Marie: Ernest Psichari d'après des documents inédits, préface par Jacques Maritain, Nouvelle edition augmentée d'une appendice, ouvrage couronné par l'Académie Française, Edité par chez Louis Conard, Libraire-Editeur à Paris, 1933

انظر أيضًا:

Louis Massignon : "Toute une vie avec un frère parti au désert», conférence du 18 mars 1959 ; in : *Parole donnée,* 3e édition, Le Seuil, 1983.

مدينة غرداية بالجزائر. ونشر هذا العمل بمقدمة لويليام مارسيه W. Marçais[1] تحصلت على شهادة الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها وكانت الرسالة التي قدمتها في إطار هذه الشهادة علـى مـا يبـدو بعنـوان "نساء البورجوازية الوسطى الفاسية" La Femme de la moyenne bourgeoisie fâsiya[2] صدر سنة 1929 ضمن منشورات غوتنير ,Geuthner وبدأت الإعداد لأطروحة دكتورا تحت إشراف إيتيان جيلسون[3] Etienne Gilson تجمع فيها بين ابن سينا وطوما الإكويني وتحلل معجم اللغة المتافيزيقية عند ابن سينا. في السنة نفسها شرعت في ترجمة "رسالة الرد على الدهريين"لجمال الدين الأفغاني وبمقدمة لمحمد عبده وذلك بمساندة حماسية من عبد الجليل[4] وكان ينتظر صدوره ضمن سلسلة يشرف عليها ويديرها ماريتان وتصدر عن دوسلي ودي بروار Desclée et De Brouwer، إلا أن هذه الترجمة لم تصدر إلا في 1942 بمنشورات

(1) ويليام مارسيه، مستعرب فرنسي هو الآخر، لمزيد المعلومات عنه انظر: فاطمة البكوش: وليام مارسيه، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2020

(2) حسب ما ذكره ألان مسعودي، م. س. ص 182

(3) فيلسوف ومؤرخ فرنسي عاش بين 1884 و1978 من مؤلفاته "الفلسفة في العصر الوسيط" وكان مختصًا في فلسفة طوما الإكويني

(4) ABD-EL-JALIL, Jean-Mohamed (Fès, 1904 – Paris, 1979) عبد الجليل، جان محمد، ولد بفاس 1904 وتوفي بباريس سنة 1979، كان استاذًا بجامعة التيولوجيا الكاثوليكية بباريس

غوتنار؛ لأنها تفرغت لترجمة بعض أعمال ابن سينا فنشرت سنة 1933 ترجمة لرسالته في الحدود مسبوقة "بمدخل إلى ابن سينا" وقدم لهذه النشرة المستعرب الإسباني ميغال آسين بلاسيوس Miguel Asin Palacios وترجمت كذلك "كتاب الإشارت والتنبيهات" ونشرت هذا الكتاب بفرنسا سنة 1951 ثم أعاد نشره سنة 1963 بمناسبة الاحتفال بألفية ابن سينا بالقاهرة "المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة" بين سنتي 1937 و1938 ناقشت أطروحتها للدكتورا "التمييز بين الجوهر والوجود عند ابن سينا" وملحقها "معجم اللغة الفلسفية عند ابن سينا"، قدمت سنة 1940 عددًا من المحاضرات بـ"معهد الدراسات الإفريقية والشرقية بلندن" أكدت فيها أن نسق الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي لم ينخفض، سواء أكان هذا في مدرسة الفرانسيسكان الأوغيسطينيين أو في خط فرانسيس بايكون بأكسفورد قبل أن تتولى المدرسة الطومية (طوما الإكويني) خلع أي لبوس عربي عن أرسطو على خلاف المدرسة الرشدية لسيجر دو برابانت Siger de Brabant[1].

لم تنقطع غواشون إبّان عملها حافظة لمكتبة كلية الطب بجامعة باريس عن مزاولة عدد من المهامّ ذات الصلة بتخصصها في الدراسات العربية. فقد عملت في السنة الدراسية 1941-

(1) استعادت الآنسة غواشون هذه الآراء في كتابها "فلسفة ابن سينا وتأثيرها في أوروبا في العصر الوسيط"، الصادر سنة 1944

1942 أستاذة لعلم الاجتماع الإسلامي بمدرسة فرنسا- ما وراء البحار الوطنية، ثم تولّت تدريس العربية بكلية الآداب بجامعة بوردو في سنة 1944-1945 خلفًا لفغالي، ولكنها لم تحظ بكرسي اللغة العربية وآدابها بل فضّل عليها برانشفيك، وانتدبت لعدة بعثات ثقافية في مصر وإيران وسوريا، وكلّفت بمهمّات حملتها إلى المغرب الأقصى بين شهري أوت/ أغسطس وأكتوبر/تشرين الأول من سنة 1924، ثم إلى مصر سنة 1946، وبعدها إلى سوريا سنة 1955 وقد نشرت تقارير مهماتها تلك في منشور واحد صدر سنة 1955[1].

في سنة 1948 عيّنت أستاذة محاضرة بالمدرسة الوطنية للإدارة وبعدها عيّنت بجامعة باريس لتقديم دروس في تاريخ البلدان العربية المعاصر وحضارتها في 1959، وظلت تقدم دروسًا في هذا المجال إلى حدود سنة 1972.

وبما أن أميلي ماري غواشون لم تتزوج ولم تنجب فإنها تبرّعت بمكتبتها ووثائقها لفائدة "مكتبة التوثيق الدولي المعاصر" بنانتار Nanterre، وقد سمح ذلك بمعرفة التراث الهائل من

(1) Goichon, A.M.: Rapports de mission 1924-1955 : [mission au Maroc, aout-oct. 1924 - en Egypte, 1946 - opposition au projet d'un Centre de coopération intellectuelle franco-oriental 1946-1949, Rapport sur un séjour en Syrie 1955], [S. l.]: [S. n.], [1955]

الكتب والمقالات والتقارير والدراسات وحتى من الدروس الجامعية التي أنجزتها طيلة حياتها، وخاصة منه ذلك الذي ظل غير منشور.[1] ونتبيّن من هذا التراث أنها اشتغلت بثلاثة مواضيع رئيسة تهمّ الثقافة والمجتمع العربيّين: بفلسفة ابن سينا وبأوضاع النساء في عدد من المجتمعات المحلية ببلدان المغرب العربي، وبتاريخ عدد من البلدان العربية المعاصر وخاصة الأردن وفلسطين. وظهرت اهتماماتها بهذه الموضوعات حتى في الدروس التي قدمتها في مختلف المؤسّسات التي درّست فيها. فالدروس التي قدمتها في إطار المدرسة الوطنية للإدارة بين 1952 و1957 على سبيل المثال تشمل: التيارات الإصلاحية في الإسلام، (درس قدمته سنة 1952) والتطورات الاجتماعية في العالم العربي وفي المغرب وقدمته سنتي 1953 و1954 ثم قدمت درسًا ثالثًا بين 1954 و1957 حول "التعاون الفرنسي العربـــي". وقـدمت خلال الفترة الممتدة بين 1959 و1972 دروسًا في تاريخ بعض البلدان العربية المعاصر مثل لبنان وسورية ومصر والمغرب إضافة إلى درس في "التحولات الاجتماعية في العالم العربي" ودرس آخر في "العلاقات العربية الإسرائيلية بين 1948-1949 وقدمت بين سنتي 1972

(1) وثق هذا التراث وضبط محتوياته ووصفها الطالب جوناس ميكار Jonas Micard من قسم التاريخ بجامعة بواتييه
http://www.bdic.fr/pdf/goichon.pdf

و1975 درسين أحدهما عنوانه "الاشتراكية بمصر" والثاني "فلسطين في الفترة المعاصرة".

بل إن غواشون تركت ضمن وثائقها تقارير تخص المهمات التي حملتها إلى بعض البلدان العربية؛ من ذلك على سبيل المثال تقريرها حول مهمة بالمغرب الأقصى يعود إلى سنتي 1924 و1925 وتقرير ثان حول مهمة بالبلد نفسه تعود إلى سنة 1928. إضافة إلى تقرير مهمة أخذتها إلى مصر بين 1946 و1949 وكان موضوعها "استكشاف إمكانيات التعاون الفكري بين فرنسا ومصر" وتقرير آخر حول مهمة حملتها إلى لبنان سنة 1952 موضوعها "آثار التطور التكنولوجي على البنى الاجتماعية بلبنان"؛ إضافة إلى أعمال أخرى كثيرة من صنف المقالات والتقارير الصحفية تتعلق جميعها بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عدد مهم من البلدان العربية تغطّي زمنيًا أزيد من نصف قرن من التاريخ المعاصر. ولا شك في أن هذه الوثائق تتوفر على معطيات بكر على غاية من الأهمية لم تعرف بعد طريقها إلى الاستثمار في البحث العلمي بسبب عدم طبعها، ولم يعتدّ بها كثيرًا فيما كتب حول هذه المستعربة التي كرّست حياتها للبحث في مواضيع تخصّ الفكر العربي والإسلامي ولدراسات ميدانية حول المجتمعات المغربية خاصة، فكانت وافرة الإنتاج وفرة يصعب معها الإحاطة بكل ما تركت من

أعمال وخاصة تلك التي لم تر النور نحو التحقيق والنشر. ومن الواضح أنّ هذه الأعمال والدروس في حاجة إلى من ينفض عنها الغبار ويخرجها إلى النور؛ إذ لا شك في أن مواضيع مثل التحولات الاجتماعية بالبلدان العربية في النصف الأول من القرن العشرين وأوضاع كثير من البلدان العربية إبان هذه الحقبة نفسها والعلاقات العربية الإسرائيلية في وقت حرج تزامن مع نشأة دولة إسرائيل وبسط هيمنتها على فلسطين من وجهة نظر خارجية بالنسبة إلى أطراف النزاع.... مواضيع مازالت تهمّ الباحثين وما تركته أميلي ماري غواشون من وثائق قابل لأن يكون مدونة يشتغلون عليها ويستثمرون ما فيها من معطيات وأفكار ومواقف.

وبما أنها ظلت إلى أخريات حياتها كاثوليكية ملتزمة فإنها خصّصت آخر أعمالها لفلسطين في أوضاعها الراهنة آنذاك فأصدرت سنة 1964 بحثها "المياه مشكلة حيوية في منطقة نهر الأردن" كما أصدرت بحثًا مطولًا من جزأين حول "الأردن راهنًا" أولهما سنة 1967 والثاني سنة 1972 ثم أصدرت بحثها "القدس: أهي نهاية مدينة كونية؟" سنة 1976 وفيه نقد حادّ لما قامت به دولة إسرائيل في حقّ المدينة المقدسة، وقد جاء في "قاموس المستشرقين الناطقين بالفرنسية" أنها كانت مناهضة للصهيونية.

لم تخف الآنسة غواشون تقديرها الصريح للثقافة العربية ولما كان لها من أدوار في إغناء الثقافة الإنسانية عامة خلال

مرحلة مهمة من تاريخها، وهو ما نجده في مجمل ما كتبت عن ابن سينا على سبيل المثال وخاصة في كتابها عن "تأثير فلسفته في أروبا في العصر الوسيط"[1]، إذ لم تقف موقف عموم المستشرقين الذين قلّلوا من أصالة ما أنتجته هذه الثقافة من علوم ومعارف وذهبوا إلى أنها كانت وسيطًا ناقلًا للثقافات الغربية اللاتينية واليونانية وأنها لم تضف شيئًا ذا بال لما نقلته، أو أنها ما كان لها أن تبلغ ذلك المبلغ من الازدهار لولا أنها نقلت ما وجدته في ثقافات سابقة، وفي المقابل اعترفت الآنسة غواشون لهذه الثقافة بما كان فيها أصيلًا وبأنها هي التي قدمت لفائدة أروبا إضافات مهمة. وبقدر ما حرصت على أن تكون منصفة للثقافة العربية أظهرت تعاطفها مع العرب وقضاياهم وقدمت في كل ما كتبت حول أوضاع البلدان العربية في لحظتها تلك تصورات ورؤى هدفها أن ترشد إلى أقوم المسالك نحو التقدم والازدهار.

تفرغت أميلي ماري غواشون طيلة حياتها للبحث والدراسة والتأليف فلم تتزوج وظلت وفية لالتزامها الديني ولكنها رغم ذلك همشتها جامعة لم تكن مفتوحة كفاية أمام النساء ولم يكن فيها للنساء آنذاك حضور فاعل، ولذلك لم تنل ما تستحقّ من

(1) انظر كتابها المذكور، ترجمة رمضان لاوند، القاهرة، دار العلم للملايين، 1950، ص 8

اهتمام ومن اعتراف بكل ما أنتجته من أعمال هي من الوفرة والتنوع بحيث تصعب الإحاطة بها، شأنها في ذلك شأن نساء أخريات عاصرنها على غرار دينيس ماسون Denise Masson صاحبة إحدى أشهر ترجمات معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية[1]، كما قد يكون لهذا التجاهل النسبي لأعمال غواشون رغم وفرتها وتنوعها وثرائها أسباب أخرى سياسية غالبًا، وهو ما تكشف عنه بعض الردود على مقالاتها حول فلسطين ومدينة بيت المقدس وقضايا اللاجئين الفلسطينيين وحول أوضاع عدد من البلدان العربية أظهرت فيها بوضوح تعاطفها مع قضايا البلاد العربية ومع تطلعات شعوبها.

---

(1) *Le Coran* (trad. commentaire et notes par Denise Masson, préf. de Jean Grosjean), Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque de la Pléiade », 1967 (réimpr. 2013 en Pléiade (précédée de plusieurs rééditions) et reprise en 1980 en « Folio » (en deux vol.))

ولمزيد الاطلاع على سيرة هذه المستعربة، انظر مؤلفها:
Porte ouverte sur un jardin fermé. Valeurs fondamentales et traditionnelles d'une société en pleine évolution : Marrakech, 1930-1989 (Autobiographie), Paris, Desclée De Brouwer, coll. « Iles », 1989 (réimpr. 1992), 337 p

انظر كذلك الهواري غزالي: دونيز ماسون، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2019

إلا أن هـــذا لـــم يحـــل دون اعتراف الأوساط والهيئات الأكاديمية بما كان لعدد مهـــم مـــن مؤلفاتها من قيمة علمية عكستها العناية التي حظيت بها من بعض الباحثين المعاصرين لها خاصة والجوائز المهمّة التي حصلت عليها من الأكاديمية الفرنسية منذ بداية مسيرتها في التأليف ومع أول كتاب نشرته حول إرنست بسيكاري حفيد المستشرق الفرنسي الشهير إرنست رينان، وهي جائزة مارسلان غيران Marcelin Guérin عن كتابها "إرنست بسيكاري من خلال وثائق غير منشورة"[1] وذلك سنة 1922. وتحصلت كذلك على -جائزة إميل فاغيه Émile Faguet عن مجموع دراساتها حول ابن سينا وفلسفته وذلك سنة 1943، وعلى جائزة بروكات-غونان-Broquette Gonin عن كتابها "الأردن راهنًا" La Jordanie réelle وذلك سنة 1974. توفيت الآنسة أميلي ماري غواشون بباريس في الثامن من أغسطس من سنة 1977.

(1) Ernest Psichari, d'après des documents inédits, préface par Jacques Maritain, nouvelle édition augmentée d'un appendice ouvrage couronné par l'Académie Française Edité par chez Louis Conard, Libraire-Editeur à Paris, 1933

الفصل الثاني
أعمال أميلي ماري غواشون العلمية

تصنّف أعمال هذه المستعربة ضمن حقل مشترك بين الاستعراب والاتنوغرافيا، إذ جمعت في أعمالها الوافرة بين دراسات لنصوص أصلية من الفكر والثقافة العربية ولأعلام يأتي في مقدمتهم ابن سينا وفلسفته، ودراسات ميدانية لمجتمعات محلية عربية ولأوضاع عاشتها وعرفتها عديد من البلدان العربية إبّان الفترة التي عاصرتها، التي امتدت نصف قرن من عشرينيات القرن العشرين إلى حدود السبعينيات منه. وبالرغم من كثرة ما أنتجت هذه الباحثة وتنوعه فإنه قابل إلى أن نرجعه إلى أربعة محاور كبرى:

1- دراسات وتراجم لأعمال الفيلسوف الطبيب ابن سينا :

تشمل هذه الدراسات كتبًا من بينها مؤلفان تقدمت بهما لنيل شهادة الدكتورة سنة 1938 وعدداً كبيراً من المقالات المنشورة في موسوعات ومجلات علمية وأعمال مؤتمرات علمية.

أما أطروحتها لنيل شهادة الدكتورة فتتكون طبقًا لما يقتضيه نظام هذه الشهادة في الجامعة الفرنسية من رسالتين،

رئيسة وملحق، الأطروحة الرئيسة عنوانها "التمييز بين الماهية والوجود عند ابن سينا."[1] وتتكون منشورة من مدخل في 17 صفحة ومتن في 546 صفحة ونشرته بباريس سنة 1937. أما الملحق فعنوانه "معجم مصطلحات ابن سينا الفلسفية" ويحتوي مدخلًا من 17 صفحة هو الآخر ومن متن في 496 صفحة. ويجمع أغلب من اهتموا بهذه الدراسة أنها من أهم ما أنجزته من دراسات حول هذا العلم وفلسفته، ظهر من خلالها جهدها الدؤوب في فهم فلسفة ابن سينا وفي التعريف بها بقدر ما ظهرت سعة اطلاعها على مختلف المرجعيات الفلسفية العربية والفارسية والغربية التي نهل منها. إضافة إلى هذا العمل الضخم الذي تجاوز الألف صفحة، للآنسة غواشون أعمال أخرى عديدة في الموضوع نفسه، من بينها "مقارنة بين مصطلحات أرسطـــو ومصطلحـــات ابن سينا الفلسفية"[2] وقد جاءت هذه الدراسة لتكمل دراستها لمعجم مصطلحات ابن سينا

(1) **Thèse principale:** La distinction de l'essence et de l'existence d'après Ibn Sina (Avicenne). - Paris : Desclée De Brouwer, 1937, XVI-546 p.
Thèse complémentaire : Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina (Avicenne). -Paris : Desclée De Brouwer, 1938, XVI-496 p.

(2) Vocabulaires comparés d'Aristote et d'Ibn Sīnā Paris: Desclée de Brouwer (DDB), 1939 (Mâcon: Imprimerie Protat frères, 1939)

الفلسفية[1]، ولها أيضًا دراسة أخرى نشرتها سنة 1944 عنوانها "فلسفة ابن سينا وتأثيرها في أروبا في العصر الوسيط"[2] إضافة إلى هذه الكتب، للآنسة غواشون عدد مهم من المقالات في الموضوع نفسه موزعة على المجلات العلمية وأعمال المؤتمرات والأعمال الجماعية نذكر من بينها مقالًا حول "تفسير ابن سينا للقرآن في نظر ابن رشد" وهو مقال أسهمت به في مؤتمر الدراسات العربية الإسلامية الأول المنعقد بقرطبة[3] إضافة إلى سلسلة من المقالات تدور حول تأثير ابن سينا في أروبا، وخاصة خلال العصر الوسيط، وهي إما مجموعة في كتابها المذكور آنفًا في الموضوع نفسه أو هي مستمدة منه، نشر أحدها ضمن مجموع حول "ابن سينا في التقاليد الغربية"[4] نشره فؤاد سيزكين، ونشرت مثله أو بالعنوان نفسه في مجلة

(1) Vocabulaires comparés d'Aristote et d'Ibn Sīnā : Supplément au lexique de la langue philosophique d'Ibn Sīnā (Avicenne) Paris: Desclée de Brouwer (DDB), 1939 (Mâcon: Imprimerie Protat frères, 1939)

(2) La philosophie d'Avicenne et son influence en Europe médiévale, Paris : Adrien Maisonneuve, 1951

(3) A.-M. Goichon :L'exégèse coranique d'Avicenne jugée par Averroès ،*in* Actas / Primer Congreso de Estudios árabes e islámicos, Córdoba, 1962

(4) Amélie-Marie Goichon :L'influence d'Avicenne en Occident, *in* Ibn Sīnā in the Western Tradition: Texts and Studies 4 / Collected and reprinted by Fuat Sezgin ; in Collaboration with Mazen Amawi, Carl Ehrig-Eggert, Eckhard Neubauer

"معهد الآداب العربية الجميلة" بتونس[1] ونشرت بالمجلة نفسها مقالًا ثانيًا عنوانه "ابن سينا فيلسوف الوجود"[2] وساهمت بجانب طه حسين بمحاضرة قدمتها بمناسبة انعقاد الاحتفالية بألفية ابن سينا التي انتظمت بالقاهرة سنة 1951[3] مثلما ساهمت في الاحتفال بألفية ابن سينا المنتظمة بطهران سنة 1953 بمقال جمعت فيه خلاصات أعمالها حول فلسفة ابن سينا ومصادرها الغربية وتأثيرها في أروبا، وكانت أطروحتها في هذا المقال حول العلاقة بين ابن سينا والقديس طوما الإكويني، وتخصّ تحديدًا التمييز بين ما هو عام مشترك بينهما وما هو مخصوص بكل منهما، وخلصت إلى القول بتفوق القديس طوما لأنه خلّص فلسفته من أخلاط الأفلاطونية المحدثة بينما حاول ابن سينا بكل جهده، حسب رأيها، أن يوفّق بينها وبين ما جاء في القرآن من دون أن يوفّق في ذلك، وهو الموضوع الذي ركز عليه القديس طوما بشكل متكرّر في نقده لابن سينا" وتضيف غواشون: "يجب أن نلفت الانتباه إلى أن المقتطفات التي اختارها القديس طوما تحيل جميعها على أطروحات ابن سينا

(1) A. M. Goichon :Influence d'Avicenne en occident, Tunis: Institut des belles lettres arabes (Ibla), 1952

(2) Goichon, Amélie-Marie. (1952) : Le Philosophe de l'être - In: Ibla vol. 15 (1951) p. 49-61

(3) Avicenne: Conférence diffusée à l'occasion du millénaire d'Avicenne [Taha Hussein, M. Ben Yahya, M. Goichon, ... [et al.]] [s.l.] : [s.n.], 1951

الكبرى وتجيز القول بأنهما كانا متفقين في نقاط كثيرة مهمّة"[1] ونشـرت غواشون مقالات عن ابن سينا وفلسفته بمجلات فلسفية مختصة، من بينها المجلة الفلسفية الفرنسية[2] وبمجلات تاريخية[3] ومقالات في موسوعات عامة مثل موسوعة الإسلام[4] أو في موسوعات فلسفية مختصّة[5] أو في مؤلفات جماعية بعضها كان تكريمًا لأعلام من المستشرقين أو من العلماء الباحثين عموما[6].

(1) A. M. goichon: un chapitre de l'influence d'Ibn Sina en occident, "de Ente et Essentia" de Saint Thomas d'Aquin. dans "Le livre de Millénaire d'Avicenne" vol. IV, imprimerie de l'université de Téhéran 1956, p131

(2) Goichon,A. M.: l'évolution philosophique d'Avicenne, Revue philosophique de la France, 1948, vol. 138, pp318-329

(3) Goichon, A .M.. (1948): Une Logique à l'époque médiévale. La Logique d'Avïcenne- In: Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge vol. 16 (1948) p. 53-68
-Goichon, A.- M., La place de Ia Définition dans Ia Iogique d'Avicenne; in: La Revue du Caire, Juin 1591, pp. 601- 59

(4) Goichon, A.M., "Ibn Sīnā", in: *Encyclopédie de l'Islam*. Consulted online on 29 April 2022 <http://dx.doi.org/10.1163/9789004206106_eifo_COM_0342> First published online: 2010

(5) Goichon, Amélie-Marie. (1957) Avicenna e avicennismo - In: Enciclopediafilosofica (1) Pt. 1 p. 525-535

(6) Goichon A.-M.: La démonstration de l'existence dans la logique d'Avicenne *in* Mélanges d'orientalisme offerts à Henri Massé à l'occasion de son 75ème anniversaire / G. C. Anawati, A. J. Arberry, H. W. Bailey…. [et al.]]

ولم يكن الاشتغال على فلسفة ابن سينا ممكنًا من دون معرفة معمقة بلغة التأليف، وهو ما شجعها على ترجمة عدد من أعمال هذا الفيلسوف إلى الفرنسية. وتمثل ترجماتها تلك، فضلًا عن ترجمات أخرى لا تقل أهمية، أفضل دليل على إتقانها اللغة العربية؛ فقد ترجمت إلى الفرنسية من أعمال ابن سينا "رسالة الحدود"، والحدود هي التعريفات، بتقديم للمستشرق الإسباني "ميغال آسين بلاسيوس" الذي نوّه بكفايتها وبقيمة ما تقدمه ترجمتها للبحث العلمي،[1] وترجمت كذلك "كتاب الإشارات والتنبيهات" ووضعت له مقدمة.[2] وتقترن ترجماتها بإضافات مهمة من قبيل المقدمات والمداخل والتعاليق والتوضيحات والإحالات على ما قد يكون لما تترجم من علاقات بمصادر ومراجع أخرى. ونشرت هذه الترجمة للمرة الأولى في باريس بالمكتبة الفلسفية، ج. فران سنة 1951. حققت أميلي كذلك حكاية "حيّ بن يقظان" لابن سينا وترجمتها إلى الفرنسية ونشرتها نشرة علمية[3]. وتعد

(1) Introduction à Avicenne: son épître des définitions, Traduction avec notes A.-M. Goichon, préface de Miguel Asin Palacios, Paris : Desclée de Brouwer (DDB), 1933

(2) Livre des directives et remarques (Kitāb al-’išārāt wa l-tanbīhāt): / traduction avec introduction et notes par Amélie-Marie Goichon / Frankfurt am Main: Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University, 1999

(3) Le récit de Ḥayy Ibn Yaqẓān: commenté par des textes d'Avicenne, avant-propos, traductions, explications et notes / A.-M. Goichon / Paris: Desclée de Brouwer, 1959

هذه الترجمات من أهم ما قدمته للباحثين ممن لا يتقنون اللغة العربية ولا يستطيعون الوصول إلى هذه المصادر في لغتها الأصلية.

فضلًا عن المؤلفات المنشورة في هيئة كتب، وعن ترجمات عدد من أعمال ابن سينا، نشرت غواشون عددًا كبيرًا من المقالات في الموضوع نفسه. ومن الواضح أن وفرة ما أنتجته من أعمال تتناول هذا الفيلسوف وفلسفته، وتخصيصها فترة من مسيرتها البحثية كادت فيها أن تنقطع لدراسته من الأسباب وراء اعتبارها متخصّصة في الدراسات السينوية، وهو ما ذهب إليه معرب أحد مؤلفاتها عندما قال: "السيدة جواشون مستشرقة فرنسية وقفت حياتها كلها للتعرف إلى الفلسفة الإسلامية ومنابعها الحقيقية وقد بلغت في ذلك مبلغًا بعيدًا من التعمّق والتجديد، فأطلعت الأوساط الاستشراقية الأوروبية على جوانب خصبة منها ولا سيّما من خلال دراستها لابن سينا فيلسوف النفس. وهي من أشدّ المستشرقين حماسة لهذه الفلسفة وأكثرهم اقتناعًا بأصالتها وامتيازها." هذا ما يقوله بشأنها مترجم كتابها "ابن سينا وأثره في أوروبا في العصر الوسيط"[1] ويختزل هذا القول خصال هذا العمل الضخم والدؤوب حول

(1) أميلة مارية جواشون: فلسفة بن سينا وأثرها في أوروبة في القرون الوسطى، ترجمة رمضان لاوند، القاهرة دار العلم للملايين، 1950

ابن سينا وفلسفته الذي كرست له أميلي ماري غواشون جانبًا مهمًا من جهودها وسنوات عديدة من حياتها.

وبهذا تكون ماري غواشون قد ترجمت ثلاثة كتب من مؤلفات ابن سينا، فضلًا عن المسارد المعجمية التي نقلت فيها إلى الفرنسية معجم مصطلحات ابن سينا الفلسفية وقارنته بمعجم أرسطو، وفي كل هذا خدمة مهمة لفائدة الباحثين في الفلسفة الإسلامية عامّة وفي فلسفة ابن سينا بصفة خاصّة.

وتجدر الإشارة إلى أن لويس ماسينيون اقترح على الآنسة غواشون ترجمة "رسالة الرد على الدهريين" للأفغاني ونشرها ضمن سلسلة يشرف عليها جاك ماريتان اختاروا لها عنوان "questions disputées" "قضايا متنازع فيها" في منشورات desclée de brouwer، ورأى عدد من أعلام الاستشراق الفرنسي من الفرانسيسكان في المشروع أفضل ما يقدم به "الكلام الإسلامي" إلى الأوروبيين. وفي رسالة للآنسة غواشون موجهة إلى ماريتان مدير هذه السلسلة أكدت له راهنية هذا المطلب وأقنعته بضرورة إطلاق السلسلة وبأنها قادرة على أن تضيف أعمالًا مهمّة أخرى تقترحها جماعة الفرنسيسكان لتترجمها تقول: "من وجهة نظري يمكن أن يكون هذا مفيدًا أكثر حتى من ابن سينا، كما يمكن أن يقدّم أدوات مهمة لفائدة المبشرين وأصحاب المهمّات الذين قد يتفاوضون

بواسطة هذه الأفكار مع عدد من المسلمين من كل الأوساط الفكرية، فضلًا عن أنّ هذه المؤلفات ستقرأ من كثير من الطلاب المسلمين الذين سيجدون في التعاليق والملاحظات وفي الترجمة نفسها صوت الجرس الأكاديمي المسيحي الذي لم تتح لهم فرصة سماعه سابقًا" ثم أضافت حجّة أخرى مفادها أن هذا الموضوع لم يكن قد عالجه آنذاك سوى جامعي فرنسي واحد بالمغرب هو إيماريغون تقول عنه "يعرف بكونه غير مؤمن، بل ويقال إنه شيوعي الاتجاه" ولذلك وجب في نظرها أن لا يسمح له بممارسة "كل ذلك التأثير المتصاعد على شبان غير متوازنين"[1].

ولكن لم تنشر ترجمة غواشون لرسالة الأفغاني سوى بعد عشر سنوات في 1941، بمنشورات المكتبة الشرقية بول غوتنر. واعتمدت في ترجمتها الطبعة العربية الثالثة المصحوبة بمقدمة لمحمد عبده[2] وبترجمة للمؤلف ومدخل للناشر عبد العالم

(1) من رسالة من الآنسة غواشون إل ماريتان، بتاريخ 7 جويلية 1931 وردت في: Dominique Avon :Les Frères prêcheurs en Orient: les dominicains du Caire (années 1910-années 1960) , Paris, éd. du CERF, 2005, p559-561

(2) Réfutation des matérialistes Texte imprimé ; traduction sur la 3e édition arabe avec introduction et notes, par A.-M. Goichon,... [Les matérialistes dans l'Inde, préface de la 3e édition arabe de Abd al-ʿAlim Çālih] [biographie de l'auteur et préface de la 1ère édition, par Cheikh =

صالح. وفي مقدمتها لهذه الرسالة تتحدث غواشون عن الأفغاني بوصفه رائد دعوة الوحدة الإسلامية وبأنه هو مصدر الحركات القومية الإسلامية وترى أن "الإعجاب الكبير الذي أبداه في هذه الرسالة بفكرة الإصلاح قد قاده، في ردّ فعل على الفهم الحرفي للقرآن، إلى ضرب من الاجتهاد الحرّ الذي أنتج حركة ما تزال على هامش الإسلام " وتقصد بذلك حركة الإصلاح الديني، وتضيف "إن الإسلام في حدّ ذاته لم يول من أعماقه اعتبارًا كبيرًا لحياة دينية داخلية عميقة، والإسلام الذي هو بصدد التجدّد يبدو وكأنّه تناسى حقًّا القيم الروحية التي مازالت تحملها داخلها نفوس مستقيمة وأرواح مؤمنة، وهو يتراجع أكثر فأكثر أمام عملية إقصاء كلّ ما هو ديني محض وكل ما يخصّ العلاقة بين الروح وربّها لصالح الاستخدام السياسي الدنيوي لكل ما يكمن فيه من قدرة على الدمج والتماسك"[1] وفي كلام غواشون هذا تشخيص دقيق ورؤية استشرافية لإحدى معضلات الإسلام حاضرًا.

= Mohammed Abdouh] [conclusions de ʿAbd al-ʿAlim Çālih. Réponse de Jamāl ad Dīn al-Afghanī à Renan] / par Jamāl al-Dīn / Paris P. Geuthner, Laval Impr. de Barnéoud, 1942

(1) A. M. Goichon: introduction à Jamal ad-din al-afghani, Réfutation des matéialistes, Paris, Geuthner, 1942, P8, P9

نموذج من أعمال قواشون عن ابن سينا وفلسفته
ترجمتها لمؤلفه "كتاب الإشارات والتنبيهات"

لم تكتسب ترجمة الآنسة غواشون أهميتها من ضخامة حجم الكتاب البالغ 450 صفحة فحسب، ولا من أهمية ما صاحب الترجمة من تعليقات وملاحظات وتوضيحات وإضافات أسهمت في إثراء الأصل العربي وأقامت جسوراً بينه وبين ما قد يكون له من مصادر من فلسفات أخرى يونانية ولاتينية، بل وأيضًا من موضوعه ومضمونه. حيث جمع ابن سينا في هذا الكتاب تعليقات مختصرة وعميقة وضح فيها آراءه بشأن كثير من المسائل الفلسفية الدقيقة التي كانت محل نقاش بين الفلاسفة. يهمّ كتاب الإشارات والتنبيهات مؤرخي المنطق في المقام الأول، وقد خصّصت الآنسة غواشون لهذا المبحث القسم الأول الممتد بين صفحات 80 و245 وفي مقدمة هذا القسم سعت الباحثة إلى إبراز إسهام ابن سينا في تطوير المبحث المنطقي وهو ما سمح لها بتصحيح الأحكام المقتضبة التي كان يطلقها الدارسون السابقون لها. أمّا في القسم الثاني الممتد من صفحة 247 إلى صفحة 526 فإنها ترجمت ما جاء عند ابن سينا من تدقيقات ومباحث بشأن عديد من مسائل الفيزياء (نقد نظرية الذرة، طبيعة المتصل، الحركة الطبيعية...) ومن المسائل النفسية (طبيعة النفس، المعرفة، نشاط الذهن) ومن المسائل الميتافيزيقية (الوجود، السببية، وجود الذات العليا

وصفاتها، الانبثاق، النظام الكوني) ومن المسائل الروحانية (نشاط الروح المستقل عن الجسم، طبيعة التأملات، الظواهر الخارقة التي تصاحب الحياة الروحانية).

قدمت الباحثة ترجمتها لهذا الكتاب بمقدمة امتدت من الصفحة الأولى إلى صفحة 74 خصصتها لدراسة تطور المسيرة الفلسفية لابن سينا، اقترحت فيها وجهات نظر جديدة وطريفة تمامًا، وبعد أن كان عموم الدارسين يتصورون أن ابن سينا كان أرسطيًّا طيلة حياته لما كان يتمتّع به أرسطو من مصداقية في نظره وفي محيطه، إلا أنّ ابن سينا، من وجهة نظر غواشون، قد كشف في أخريات حياته عن وجهات نظره الخاصة المستقلة عن فلسفة أرسطو وغيره في مؤلف يعرف بعنوان "الحكمة المشرقية" وهو كتاب لم ينه تأليفه ثم فقد فلم تصل منه سوى شذرات يبدو من خلالها أنه سعى فيه إلى عقد ضرب من التوفيق بين الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية بإيحاء مشرقي. وبما أن كتاب "الإشارات والتنبيهات" ينتمي هو الآخر إلى حقبة متأخرة من حياة ابن سينا، فإن هذا حمل الباحثة على الاعتقاد أنه يحمل آثار الوضع الذهني والنفسي الذي كان عليه هذا الفيلسوف عندما ألف "الحكمة المشرقية" مما يجعل كتاب التنبيهات مدخلا ممكنا لفهم ما ضاع من الكتاب الآخر. وتمثل هذه القراءة القائمة على الربط بين مختلف مؤلفات الفيلسوف دليلًا على التمكن المنهجي للباحثة وعلى ذكاء تلقيها لما كانت تقرأ من مصادر الفلسفة

الإسلامية. لذلك كان النظرُ المعمّقُ والبحثُ الدقيقُ اللذان أخضعت لهما الباحثة هذا الكتاب قد ساعداها في بناء وجهات نظر خاصة بها مختلفة عن تلك التي ظلّت متداولة مدّة طويلة في المجال المعرفي الغربي بشأن هذا الفيلسوف وبشأن الفلسفة الإسلامية عامة. وهي إلى ذلك اعتمدت على منهجية تعدّ مبتكرة زمن تأليفها الكتاب في الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث شرحت كتاب ابن سينا وعموم مقالاته الفلسفية بإرجاعها إلى مصادرها وربطها بالنصوص الموازية لها من ثقافات ولغات أخرى، كما هو الشأن بالنسبة إلى نصوص الفلسفة المشرقية التي ازدهرت في الوسط الثقافي الفارسي خاصة وكان يجب أن ينظر إليها من خلال هذا الوسط، أو إلى نصوص أرسطو ومفاهيمه ومصطلحاته الفلسفية بإحالاتها على الفلسفة اليونانية وإلى الأفلاطونية المحدثة وغيرها... وهذه قراءة تقتضي اطلاعًا واسعًا على ثقافات متعددة ومعرفة بلغاتها وهو ما تثبته عموم مؤلفات الآنسة غواشون في مختلف الموضوعات والمجالات التي اعتنت بها.

2- دراسات وتحقيقات اتنوغرافية وسوسيولوجية للمجتمعات المغربية :

بدأ اهتمام الآنسة غواشون بالبلدان العربية ومجتمعاتها مبكرًا، وكان ذلك الاهتمام واضحًا في أوائل أعمالها المنشورة في العشرينيات من القرن العشرين، وبهذا الاهتمام نفسه وبكثير

من حماسة التضامن مع القضايا العربية الكبرى ختمت أعمالها الأخيرة في مسيرتها العلمية والبحثية، بأعمالها الميدانية عن مجتمعات نسائية مغربية افتتحت هذا المسار وبأعمالها عن الأردن وفلسطين وقضايا اللاجئين الفلسطينيين وتهويد القدس اختتمته. وفي الأثناء اعتنت بكثير من البلدان العربية وبقضاياها المعاصرة وكتبت في موضوعات واسعة التنوع. إذ اعتنت بالتعاونيات الزراعية في كلٍّ من الأردن ومصر[1] وبالتعاونيات في الأردن[2] وبتحولات الاقتصاد الأردني[3] وبمشكلة الماء في هذا البلد[4] وبالأرض وتطور مجتمع الريف فيه وبتحولات البنى الاجتماعية في لبنان بفعل التطور التقني[5] وبالتخطيط لتجديد مجتمع الريف المصري،[6] مثلما اعتنت بالأعمال

(1) Les Coopératives agricoles en Egypte et en Jordanie / Amélie-Marie Goichon / [S. l.] : [S. n.] , 1963

(2) Importance des coopératives en Jordanie / Paris: Institut des Etudes coopératives, [1966]

(3) La Transformation de l'économie jordanienne / Amelie Marie Goichon / Paris: Orient, 1969

(4) L'eau: Problème vital de la région du Jourdain. / Bruxelles : Centre pour l'Etude des Problèmes du Monde Musulman Contemporain, 1964.

(5) La Transformation des structures sociales au Liban sous l'influence de l'évolution technique : Rapport établi selon le questionnaire de l'UNESCO pour le symposium international de sciences sociales en Grèce, 8-15 octobre 1952 Lu à Athènes par Mgr Jean Maroun / Amélie-Marie Goichon ; Jean Maroun / [S. l.] : [S. n.], [1952]

(6) يحيى مراد: معجم المستشرقين، م. س. ص 423

الخيرية والاجتماعية في سوريا وبالمنشآت المائية في منطقة الريف السوري.

وتظل المجتمعات النسائية في علاقتها بالأطر الاجتماعية والدينية من أبرز ما اهتمت به غواشون في الطور الأول من مسارها. وبحكم كثرة رحلاتها إلى بلدان المغرب العربي والصلة الوثيقة التي ربطتها بها خصت هذه البلدان ومجتمعاتها بأغلب الأعمال التي أصدرتها خلال فترة العشرينيات وردحًا مهمًا من الثلاثينيات. قد اهتمّت خاصة بنساء مدينة فاس بالمغرب الأقصى بعنايتها بأثر انتماءاتهن الاجتماعية في أوضاعهن متخذة من نساء الطبقة البرجوازية الوسطى نموذجًا[1]، وبما يتعاطين من حِرَفٍ من بينها خاصة حرفة التطريز، فدرست عمل الفاسيات في التطريز بخيوط الذهب وتطعيمها بخيوط الحرير[2].

بدراستها الميدانية الواسعة والدقيقة والمنشورة في جزأين حول "الحياة النسائية بمنطقة المزاب، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام"[3] أثبتت المؤلفة قدرتها على النفاذ إلى أكثر المجتمعات انغلاقًا ضد

(1) La femme de la moyenne bourgeoisie fāsīya / A.-M. Goichon / Paris: P. Geuthner , 1929

(2) La broderie au fil d'or à Fès: ses rapports avec la broderie de soie, ses accessoires de passementerie / A. M. Goichon / Paris: Larose , [1939]

(3) Amélie-Marie Goichon: La vie féminine au Mzab, étude de sociologie musulmane, 2 vol. (XIV-348 p.-XIX f., VII-159 p.) *Préfacier*: William Marçais (1872-1956), Paris: P. Geuthner , 1927-1931

الأجنبّي عامة وضدّ الاستعمار ومن يراهم ممثلين له بصفة خاصة. ورغم أن غواشون لم تكن بعيدة عن المهمات الاستعمارية التي كانت تعمد إليها فرنسا الاستعمارية في بلدان المغرب العربي خاصّة، وتوظف لها المستعربين بهدف جمع ما تحتاج إليه سياساتها هناك وبرامجها من معلومات حول المجتمعات المحلية وأوضاعها ومشاكلها، فإنها استطاعت أن تترك في أعمالها وثائق تتّسم بمستوى معتبر من العلمية والموضوعية عن تلك المجتمعات. وقد كلّفت بعدد من المهمّات رسميًا وهي غير البعثات العلمية أو الرحلات التي قامت بها بدوافع بحثية، وقد أصدرت تقاريرها عن تلك المهمات،[1] التي دعيت إليها بكل من المغرب الأقصى ومصر وسوريا، إضافة إلى كونها كتبت بعض البحوث استجابة لما طلبته منها "لجنة إفريقيا الفرنسية" وهي لجنة من لجان الاحتلال الفرنسي بالبلدان الإفريقية؛ من ذلك على سبيل المثال بحثها الموسوم "الصناعات التقليدية بمدينة فاس: الأزمة الراهنة والعلاج الممكن" هو مقالة منشورة ضمن منشورات اللجنة المذكورة وتحت عنوان "الاستعلامات الاستعمارية"[2].

(1) Amélie-Marie Goichon: Rapports de mission 1924-1955 : [mission au Maroc, aout-oct. 1924 - en Egypte, 1946 - opposition au projet d'un Centre de coopération intellectuelle franco-oriental 1946-1949, Rapport sur un séjour en Syrie 1955] / / [S. l.] : [S. n.] , [1955]

(2) Amélie Marie Goichon: L'artisanat à Fès : crise actuelle: remèdes possibles, Paris : Comité de l'Afrique française, 1937-1938; 1 vol. (p. 113-120 et 7-14) ; Extr. "L'Afrique française, renseignements coloniaux, déc. 1937 et janv. 1938

ومن أهمّ نماذج مؤلفاتها في هذا المحور اخترنا كتابين رأيناهما كفيلين بتمثيل منهجها ورؤيتها للعالم العربي ومجتمعاته في الحقبة الحديثة والمعاصرة هما كتابها في سوسيولوجيا الإسلام من خلال دراسة المجتمع النسائي بمنطقة المزاب وكتابها عن راهن المملكة الأردنية الهاشمية.

كان كتاب "الحياة النسوية بوادي المزاب" نتيجة رحلة علمية دامت بضعة أشهر بين سنتي 1924-1925 بمدينة غرداية حيث تعرفت على الحقل الذي اشتغلت عليه تعرفًا مباشرًا ومنه جمعت المعطيات التي جعلت منه مؤلفًا اثنوغرافيًا بامتياز. ورغم ذلك يبدو أنها شعرت بأن ذلك الموضوع في حاجة إلى مزيد من التدقيق والتوثيق فعادت مرة ثانية إلى غرداية لتقضي فيها مدة ثانية من حياتها جمعت فيها المادة التي اعتمدت عليها في تأليف الجزء الثاني من هذا الكتاب عبر حوارات مباشرة مع النساء المزابيات، أو بعض الحوارات مع رجال في مسائل لا تحظى عادة بعناية النساء ولا يعرفن بشأنها معطيات كثيرة مثل مسألة الإصلاحات الدينية التي لجأت بشأنها الباحثة إلى حوارات مع الرجال المزابيين. ولم تقتصر على المعطيات الميدانية التي اعتمدت في جمعها على الدراسة الحقلية والمقاربة السوسيولوجية، بل جاء في هذا الكتاب من المعطيات التاريخية ما يدلّ على أنّ هذه الباحثة تحرص على توسيع دائرة اطلاعاتها

على الموضوع الذي تدرسه حتى تحيط به من كل الجوانب وعلى حسن التجهّز له بما يحتاج من عدّة معرفية ومهجية.

كتب وليام مارسي تقديمًا لهذا الكتاب في طبعته الأولى الصادرة بباريس عن المطبعة الشرقية بول غوتنار سنة 1927 في خمس صفحات أشاد فيها بمجهود الباحثة وبما قدمته من معلومات عن الموضوع وبما أبدته من صرامة علمية ودقة منهجية، وذكر أن هذه الدراسة جاءت في وقتها استجابة لدعوة عدد مهم من الباحثين الذين اعتنوا هم أيضًا بمنطقة المزاب وبالمذهب الغالب هناك وهو المذهب الإباضي[1] سواء أكانوا اتنوغرافيين أو سوسيولوجيين أو لغويين ممن كرسوا حياتهم في الاشتغال على هذه المنطقة وثقافتها، وإلى إيلاء النساء ما هن به جديرات من عناية نظرًا للأدوار المهمة التي ينهضن بها ولخصوصيات أوضاعهن مقارنة بأوضاع الرجال التي تستقطب عادة اهتمام الباحثين، وقد ظهرت آثار الاستجابة في جملة من الأعمال على صلة بمبحث النساء في المغرب

(1) يؤكد كلود ميليو C. Milliot في مؤلفه "أوضاع المرأة المسلمة ببلاد المغرب العربي" «la condition de la femme musulmane au Maghreb» الصادر بباريس سنة 1910 على هذه الأهمية، خاصة وأن المجتمع النسائي يشكل مجتمعًا منغلقًا قائما بذاته منفصلًا عن مجتمع الرجال وهو ما يستوجب العناية بهن استكمالًا للمعرفة المنشودة بالمجتمعات المغربية والإسلامية عامة.

العربي وشمال إفريقيا عامة وبمنطقة المزاب بصفة خاصة[1] وبما أنه يصعب على الرجال التسرب إلى عالم النساء والتعرف إليه من الداخل بدل الاقتصار على الأخذ بما يروى عنه، دعا وليام مارسيه في هذه المقدمة إلى أن تنخرط النساء الفرنسيات في هذا العمل وإلى أن يساعدن في التعريف بعالم النساء وبمشاغلهن؛ لأن "الدخول إلى عالم النساء المغربيات لم يحرمه الإسلام عليهن مثلما حرمه على الرجال، ولأن التضامن الطبيعي بين النساء أقوى من التناقضات الحضارية وأقدر على التقريب بين المختلفين وعلى إسقاط ما يفصل بينهم من حواجز" خاصة عندما تكون أولئك النسوة ممن يحظين بالثقة لدى جماعات النساء في المجتمعات المحلية[2] وهو يعتبر أن أميلي ماري غواشون تتمتع بكل ما يجعلها محل ثقة ذلك أنها ألهمت نساء المنطقة التي أجرت فيها بحثها، وهي مدينة غرداية خاصة، الكثير مما جعلها محل ثقتهن، وهذا هو ما يفسر وفرة ما جمعت من عندهن من المعطيات والمعلومات ودقتها وتنوعها وشموليتها. وما يفسر كذلك أن كثيرًا من هذه

---

(1) نذكر من الأمثلة كتاب "أخواتنا المسلمات" Nos sœurs musulmanes لماري بوجاجة، Marie Bougéja Révue des études littéraires, Paris; 1921 كما نذكر SAINT-AMAND, H. GAULTIER DE: Les mystères du Harem. Paris, Librairie Franco-Anglaise, 1920

(2) مقدمة وليام مارسيه لكتاب غواشون، ص x

المعلومات يخصّ مجتمعًا مغلقًا يصعب النفاذ إليه حتى من مجتمع الرجال الداخلي، ومن أجل أن تجعل من هذه المادة الخام التي جمعتها كان الأمر يتطلب كفايات أخرى يمكن أن يكتشفها القارئ في كتابي ماري غواشون. كما أشار إلى بعض مآخذه على هذا الكتاب ومنها خاصة أنه أغرق في سرد الوقائع وفي عرض التفاصيل ووصف المشاهد إلا أنه تجاهل بعض الأسئلة الجديرة بأن تطرح وبأن ينظر فيها الباحث في هذا الموضوع. مثل السؤال عن كيفية تعلم هؤلاء النسوة المنغلقات الأميات التكلم باللغة العربية والجمع بينها وبين البربرية.

لقد بينت الآنسة غواشون في القسم الأول أن النساء هن اللاتي يقمن حقيقة الهيكل الخفي للبناء الاجتماعي، وهن اللاتي يحافظن على استمرارية الجماعة ومذهبها وعقيدتها. وقد قدمت على امتداد هذه الدراسة الأدلة الواقعية على هذه الأطروحة، ففي هذا التحقيق الحقلي معطيات جديدة غير مسبوقة عن الجماعة الإباضية ونسائها خاصة، حيث اهتمت بأساليب العمل الذي تتعاطاه النساء وبسطت في ذلك معطيات على غاية من الدقة وقدمت ملاحظات مهمّة[1] وبدور النساء

(1) A. M. Goichon : La vie féminine au Mzab, étude de sociologie musulmane. Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1927, pp 105-106

اللاتي يعرفن بغسّالات الموتى في الزواج والختان وسائر المناسبات الخاصّة والعامة[1] ولم تقتصر على وصف مشاهداتها بل إنها أضافت إلى ذلك ستّ عشرة لوحة في آخر الجزء الأول من البحث تحمل صورًا من الحلي التي تلبسها النساء ومن الحرف اليدوية التي يتعاطينها ومن الأشكال التي يطرزنها في الأنسجة الصوفية وما إلى ذلك من متعلقات النساء من منطقة المزاب أو من مناطق أخرى من الجزائر ومن سائر مناطق المغرب العربي.

يتكون الكتاب من عشرة فصول، وقد جاء الفصل الأول من هذه الدراسة في صورة مداخل ومقدمات تجمع بين التأريخ والتأطير، رسم بذلك الإطار العام بما يتطلب من معلومات تاريخية عن نشأة المذهب الإباضي وانتشاره بإفريقيا ونظامه الداخلي وما كان له من أدوار في نشر الإسلام في منطقة المغرب العربي، وعرفت بالدول التي أنشأها الإباضيون وخاصة مملكة تيهرت وبالمناطق التي ينتشرون فيها وبمراكزهم الحضرية ومدنهم المقدسة مثل سدراتة وورغلة، كما اعتنت بالمكون البشري لهذه الجماعة فعرفت بالقبائل البربرية الإباضية المستقرة بمنطقة المزاب، بل إنها بدت عارفة بالأصول العقائدية لهذا المذهب فعرفت على سبيل المثال بأهم مؤلفاتهم الفقهية

(1) المصدر السابق، صص 50، 86-87

وبمراجعهم وأعرافهم وتقاليدهم التشريعية وبما يميّز سلوك أهله من تقشف وبما يتعاطونه من أنشطة تجارية وزراعية وبنظام الجماعة القائم على هيكلية دقيقة. ثم خصت النساء ببعض مباحث هذا القسم الأول فتحدثت عن ظاهرة منع النساء من مغادرة المزاب وبدور المرأة الاجتماعي وبوضعها في الأسرة وبالعناية المخصوصة التي تلقاها من الجماعة النساء الأرامل والمطلقات وبحقوق الأمهات وواجباتهن وأشارت إلى شيوع نظام الزواج الأحادي ومحدودية الزواج المتعدّد[1] وكانت الإشكالية الأساسية التي وجهت مختلف مضامين هذا الفصل تدور حول الأسئلة التالية: ما الظروف التي دفعت هذا المجتمع العنيد والمتحمّس إلى العيش وسط هذه الربوع الخالية؟ كيف نُظِمت؟ وما القوانين التي تحكم مجتمعهم؟ وفي كل أقسامه يحسب للباحثة ما اتصفت به هوامش عملها من ثراء ودقة، حيث حرصت على ذكر المراجع التي اعتمدتها في توثيق عملها وفتحت أمام القارئ مجال الاطلاع على المزيد من المعلومات بما أحالت عليه من أعمال منها ما هو بالفرنسية ومنها ما هو باللغة العربية وقد بدت متمكنة منها التمكن الذي يظهر صداه في مراجعها وفي ما استخدمت في متن العمل من الألفاظ العربية وحتى البربرية ومن المصطلحات التي لم تقتصر على إيرادها في لغتها

(1) المصدر السابق، القسم الأول صص: 1-26

الأصلية بل حرصت على ترجمتها إلى لغة المتن الفرنسية، ولا شك في أن مثل هذه المادة التوثيقية المهمة من نواح عدة، تاريخية واجتماعية ولسانية، أسهمت في تطوير البحث الاستعرابي وهي قابلة إلى الآن لمزيد الاستثمار من الباحثين المعنيين بمثل هذه الموضوعات والآفاق البشرية والثقافية.

هذا وقد جاءت بقية فصول الكتاب مرتبة ترتيبًا طريفًا يقوم على اتباع أطوار حياة الإنسان من الولادة إلى الوفاة تتخللها فصول أخرى تخصّ ما يتعاطاه المرء من أنشطة في أطوار حياته وما يؤثر فيها، وقد ركزت بالخصوص على ما يعرف بطقوس العبور، وهي تلك التي تصاحب كل لحظات عبور المرء من طور في حياته إلى طور جديد على غرار طقوس التسمية والعقيقة والحلق للوليد وطقس الختان للأولاد وطقوس الزواج وطقوس الموت. وقد سمح هذا الترتيب للباحثة بأن تحيط بكل ما يتصل بحياة النساء في مختلف أطوار العمر بدءاً بلحظة الولادة، وكانت موضوع الفصل الثاني من الكتاب، فاليوم السابع واليوم الأربعين بكل ما يصاحب تلك المناسبات من الطقوس والعادات في التسمية والملبس والمأكل، وركزت على المكانة المميّزة التي يحظى بها المولود المزابي والتي قد تبدو غريبة بالنسبة إلى من ينتمي إلى مجتمعات بعيدة كل البعد عن عادات المجتمع المزابي وتقاليده.

ثم اعتنت بمرحلة الطفولة وما يصاحبها من أوجه عناية النساء بأطفالهن وكان هذا موضوع الفصل الثالث، فيه كشفت الغطاء عن أوجه من المعاناة الصحية والمادية التي تعرض للأطفال آنذاك في مسكنهم وملبسهم وتغذيتهم قائلة" في أعوام الطفولة الأولى تكون الظروف المادية سيّئة إلى حدّ ما". ورغم ذلك لم يغفل المزابيون المجوهرات التي يزيّنون بها أطفالهم؛ إذ يعتقدون أن لها دوراً يتجاوز وظيفة التزيين إلى حماية الأطفال من العين والحسد ومن بعض الأمراض، وذكرت الباحثة نماذج من هذه المجوهرات مثل الخلخال وِتيمْشَرَّفْتْ ولَخْمُوسْ توَابْزِيمْتْ وما يدور حولها من معتقدات. ووصفت في هذا الفصل كذلك احتفالية الختان وما يسبقها من تحضيرات وما يصاحبها من أهازيج "إيزلْوان" واستعرضت طرق أهل المزاب، وخاصة النساء، في تعليم أطفالهم القيم والعادات والأخلاق العالية وحسن التصرّف، وركزت خاصّة على طرق تربية البنات وتعليمهن في الطفولة المبكّرة وتحدثت عن الصوم الأول للأطفال وما يميز صوم الفتيان عن صوم الفتيات من أساليب الاحتفال، واستعرضت أهمّ ألعاب الأطفال ما كان منها خاصًّا بالفتيات وما هو مشترك مع الفتيان، وعينت المواسم التي تلعب خلالها ومعدّاتها وطرقها الخاصّة وذكرت منها "الغمّيضة، تِيشَعْبِينْ، سِيقْ، تَاحْجُورْتْ، تَاشُورْتْ، تِيلْغَمْتْ، تِيدَّارْ، تَاكْلاَ، مُوشْ اوَّزْغَارْ"... مرفقة إيّاها بكلمات وأهازيج.

وجاء الزواج وما يصاحبه من عادات وتقاليد وأعراف موضوع الفصل الرابع، وأكدت على عادة ما تزال سائدة لدى أتباع المذهب الإباضي إلى اليوم، وهي عادة توحيد قيمة المهر بين الأغنياء والفقراء، وإن تغيّر مقدار تلك القيمة من زمن إلى آخر، فضلًا عما يقدمه الأقارب من المساعدة لفائدة العروسين وأهلهما، واستعرضت كثيرًا من عادات الزفاف وتقاليده في الاحتفاء بالعروس، وأشارت إلى محدوديّة ظاهرة الزواج المبكّر في المجتمع المزابي رغم انتشارها في مجتمعات إسلامية أخرى آنذاك من بينها معظم مجتمعات المغرب العربي.

ومن الفصول التي أولتها الباحثة أهمية كبيرة الفصل الخامس لكونه يمثل جوهر هذه الدراسة السوسيولوجية ويتّصل بمرحلة من الحياة هي أهم وأطول مراحلها إذ تستغرق من العمر الفترة الواصلـــة بيـن الطفولة والشيخوخة. حيث استطردت طويلًا في الحديث عن الأنشطة التي تتعاطاها النساء الشابات، ومنها خاصة إعداد مستلزمات الأطعمة وخزنها، ووصفت الطبخ ومظاهر البساطة في مطبخ أهل المزاب ووصفت مكوّناته وأدواته، ثم تطرقت إلى نشاط آخر يبدو متطورًا على عكس نشاط الطبخ وهو غزل الصوف والنسيج وصناعة الألبسة وما تثبته من مهارة الشابات المزابيات الحريصات على إظهارها في هذا المجال، واستعرضت ما يتحلّين به من الحليّ وأدوات الزينة وأسمائها المستلهمة من بيئتهن المحليّة.

وفي الفصل السادس وعنوانه "أحلام الأمومة" توسعت الباحثة في عرض الأهازيج التي تعبر بها المزابيات عن تلك الأحلام وهن يطبخن وينسجن ويلاعبن مواليدهن وأطفالهن ويلبسنهم ثيابهم ويمشطن شعورهم ويهدئنهم لينامو، أو هن يحتفين بحملهن ويجهزن للولادة ويعددن مستلزماتها، وتحدثت عن مشاغل الأمومة من أجل ضمان الإنجاب وحماية المولود وعن طرائق العلاج والمحافظة على سلامته وصحته

أما الفصل السابع وعنوانه "أفراح وأتراح" فإن العناية فيه اتجهت صوب تلك الثنائية التي تتوزع بينها حياة النساء في منطقة المزاب، وهي جزء لا يتجزّأ منها بأفراح الولادة وعودة الزوج من سفر ورجوع الابن الشاب من تجارة بعيدة وبأعياد رأس السنة الهجرية وعاشوراء وعيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف والختان وغيرها... أما أتراحها فهي الأمراض والطلاق والترمل... فبين التقشف الذي تفرضه عوامل طبيعية صعبة وأخرى اجتماعية تجد بسببها الكثير من النساء أنفسهن وحيدات إزاء مصاعب الحياة ومسؤوليات إعالة الأبناء، وعوامل عقائدية تجد أصلها في المذهب الذي يعتنقه، والاحتفالات التي تصاحب تلك المناسبات السعيدة تمضي حياة النساء في المزاب ومنها تلتقط الباحثة ما ترى من مشاهد وما تسمع من أهازيج توثّقها في هذه الدراسة الاتنوغرافية والسوسيولوجية الثرية بمعلوماتها وتفاصيلها، تجمع أساليب التطبيب الأسري والطرائق

السحرية التي تلجأ إليها النساء لمنع طلاق أو لمعالجة مريض أو لاستعادة مفقود. بل إنها تخصّ السحر بفصل كامل من فصول الكتاب[1] حيث يبدو أن وراء كل مطلب وصفة سحرية تسهل تحقيقه وتصف الباحثة مكوناتها وكيفية إعدادها وطريقة تنفيذها وما يصاحبها من حركات وأقوال.

وفي الأثناء كان لزاما على الباحثة أن تخصّ الدين بفصل من فصول مؤلفها هو الفصل الثامن، إذ تراه سببًا في تلك الحياة المتقشفة والتقية والورعة الغالبة على نمط عيش أهل المزاب، وهي تراه من خلال سلوك المزابيين واجبًا والتزامًا طوعيًا تارة، بقدر ما يبدو لها طورًا آخر مأتى للسيطرة على الحياة النسوية وللهيمنة على النساء. في هذا الفصل نفسه وصفت الباحثة حياة النساء الدينية وما تقوم عليه من تقوى. وقد خصّت الباحثة "غسّالات الموتى" ونظامهن وأساليب عملهن وما تتمتع به بعضهن من سلطة بالوصف في فصل خاص هو الفصل التاسع، حيث أشارت إلى ما كان لهنّ من دور في مقاومة العادات البربرية وذلك من خلال تنفيذ قرار الإصلاح النسوي الذي اتخذته جماعة "العزّابة" و"ماما نسليمان " الأولى التي كانت تتمتّع بسمعة جعلت منها الزعيمة المكرّسة لتقاليد الإسلام وأحكامه ردًّا للتقاليد البربرية التي قد تتسلل إلى المجتمع المزابي.

(1) الفصل الثامن، صص 184- 218

وتختم أميلي ماري غواشون الكتاب بفصل عاشر مخصوص بالشيخوخة والموت حيث تتحدث عن العجائز وعن مشاغلهن وعن متوسط سنّ المرأة المزابية وعن كفنها وجنازتها ومراسم دفنها.

وتختم الباحثة كتابها بخاتمة جامعة لما تضمنه الكتاب من فصول غطت كل أطوار حياة النساء بمنطقة المزاب ووصفت تفاصيلها وحرصت على كشف مرجعياتها ودلالاتها وعلى فهم نظامها الداخلي متخذة من المعايشة الفعلية والمشاركة بوصفهما من مقومات المنهج السوسيولوجي سبيلا إلى جمع ما عاينته هناك وإلى تقليب النظر فيه من أجل فهمه وضمان موضوعية تبليغه.

في الجزء الثاني من الكتاب[1] المنشور بعد الأول بأربع سنوات تذكر الباحثة في المدخل منه أنها حظيت بإقامة ثانية بمدينة غرداية أتاحت لها فرصة تدارك ما لم يحظ بكامل العناية في الجزء الأول، آخذة بعين الاعتبار ما أبدي من ملحوظات تخص هذا الجزء، فأعادت بناء الثاني على النظام نفسه والفصول نفسها متداركة كل نقائص الجزء الأول بكم هائل من المعطيات التي تجعل من هذا العمل الممتد في جزأيه على أزيد من خمسمائة صفحة وثيقة قد تكون من أهم الوثائق، لا عن النساء

(1) A. M. Goichon: La vie féminine au Mzab, étude de sociologie musulmane. Notes complémentaires, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1931, 160p

فحسب، بل عن حياة تلك المنطقة عمومًا بكل أبعادها الاجتماعية والثقافية، وعن الجماعة الإباضية المغربية. وكعادتها في مجمل أعمالها أبدت غواشون في مواقع عدة تعاطفها مع موضوعها، أي مع النساء في هذا المجتمع المغلق وفي ذلك الإطار الطبيعي القاسي، وشاركتهن فصولًا من حياتهن واطلعت، اطلاع المعايش، على أدقّ تفاصيلها ما هو جماعي منها وما هو فردي والظاهر منها والخفي، بل إنها أشارت إلى سبل تحسين تلك الأوضاع وجعل حياة النساء بوادي المزاب أقل قسوة مما رأته، وقدمت لصالح النساء شهادة اعتراف بحيوية أدوارهن وهي التي تقول: "إن نجاح المزابيين في ضمان الدوام لمجتمعهم إلى اليوم، من دون تأثّره بزحف القوانين الاقتصادية المعاكسة يرجع إلى عنصر الاستقرار الذي تمدّه بهم المرأة، وهي التي ظلت وفيّة لمثلهم علـى الدوام، في مجتمع صحراوي محافظ" فكـان عملها هذا صورة من صور البحث الاستشراقي الاتنوغرافي حول المجتمعات المحلية بالبلاد الإسلامية. وبذلك بلغت غواشون في هذا المؤلف غايتها، فقدمت صورة موضوعية واضحة وعلى مستوى عال من الدقة والتفصيل عن المرأة المزابية وعن نمط عيشها في الربع الأول من القرن العشرين، وإن ظلت بعض الجوانب قابلة لمزيد من التدقيق والاستقصاء خاصة والموضوع متعلق بمجتمع نسوي منغلق لا يرحب بالغريب عامة وبغير المسلم ومن يحمل جنسية المستعمر بصفة خاصّة، وقد أشار

ويليام مارسيه في تقديمه للكتاب إلى هذه المشكلة وإلى ما يترتب عليها من صعوبة الوصول إلى المعلومات الصحيحة وإلى الحاجة إلى الاستعانة بنساء للوصول إليها واعتبر أن غواشون قد نجحت في ذلك إلى حدّ كبير بوصفها امرأة وباحثة في آن استطاعت أن تستعيد المشهد النسوي في تلك الحقبة التاريخية وأن تتعرف إلى شخصيات نسوية قيادية وعالمة وورعة -تمسيردين، أو غسالات الموتى- كان لهن تأثير في الوسط النسوي مثل السيدة ماما نسليمان، منة نعمارة، ماما نعمارة، كما استطاعت أن تصوغ ذلك الكم الهائل من المعطيات والتفاصيل في بناء منهجي واضح وبأسلوب قصصي جمع بين دقة التأريخ وموضوعية المعاينة السوسيولوجية وتشويق أسلوب الحكي.

لم تقف عناية الآنسة غواشون بمنطقة المزاب وبالمجتمع المزابي وحضارته عند هذا الكتاب، بل نشرت كذلك بعض المقالات الأخرى التي، وإن كانت عبارة عن استعادة مدققة ومفصلة لبعض العناصر التي جاءت في مؤلفها أعلاه، فإنها دلت على سعة اطلاعها على هذا الموضوع وعلى مقدار استفادتها من رحلاتها العلمية هناك. ومن هذه المقالات مقال يخص المطبخ والعطور في تلك المنطقة[1] نشرته قبل سنة من نشر

(1) Goichon, Amélie-Marie. (1926): La cuisine et les parfums au Mzab – In: Revue d'ethnographie et des traditions populaires vol. 7 (1926) p. 105-112

الجزء الأول من كتابها المذكور، وقد جاءت المعطيات الواردة فيه جزءاً من تلك التي أوردتها في كتبها؛ مما يجعل أعمالها تتسم في بعض الحالات بالتكرار واللف والدوران حول بعضها بعض.

هذا وجه من وجوه عناية هذه المستشرقة بالمجتمعات العربية، وخاصة النسائية منها. ذلك أنها اهتمت بمجتمعات أخرى من المغرب العربي، ومنها "نساء البرجوازية الوسطى الفاسية" وبالنساء النساجات والطرازات وبصناعاتهن اليدوية.

ب- تاريخ البلدان العربية المعاصر : الأردن وفلسطين مثالًا

أما الكتاب الثاني فهو كتابها عن الأردن وهو أحد أهم مؤلفات أميلي ماري غواشون ضمن هذا المحور من أعمالها في الاستشراق وفي التاريخ المعاصر لعدد من البلدان العربية. ففضلًا عن عدد مهم من المقالات، يمثل مؤلفها "الأردن الحقيقي" المنشور في جزأين هو الآخر[1] أحد أهم ما أنتجته في هذا الموضوع.

نشرت الآنسة غواشون الجزء الأول من هذا المؤلف سنة 1967 قبل اندلاع الحرب بين إسرائيل والبلدان العربية في

(1) A.-M. GOICHON, Jordanie réelle, I, Desclée de Brouwer, Paris 1967, 1 vol. in-8° de XVII + 580 pp. ; II, G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1972, 1 vol. in-8° de XVI + 1444 p

شهر جوان/يوليو من السنة نفسها، وجاء في مدخل من 17 صفحة ومتن من 580 صفحة، وبعد نشر هذا الجزء مباشرة، وإثر انتهاء حرب الأيام الستة واستيلاء إسرائيل على الضفة الغربية لنهر الأردن التي كانت تحت سلطة المملكة الأردنية الهاشمية منذ حرب 1948، شرعت في الإعداد وجمع المعلومات للجزء الثاني. وقد أكدت الباحثة ما سبق لها أن عبرت عنه منذ الجزء الأول أن الخيط الناظم لمؤلفها هذا بجزأيه هو البحث عن "القيمة الإنسانية"وهو الأمر الذي منح عملها هذا بعدًا إنسانيًا ومصداقية يندر العثور عليهما في مؤلفات من هذا القبيل في ذلك الطور من تاريخ الاستشراق. ونظرًا إلى أنّه من العسير اختزال ما حفل به أزيد من الألفي صفحة من المعلومات الوافرة والمعطيات الدقيقة والتفاصيل المتعددة الموضوعات والأبعاد التي اقتضت جهدًا قلّ مثيله في بضع صفحات، فإن اهتمامنا متّجه نحو الأفكار الكبرى والمواقف العامة المعبرة عن اتّجاه الباحثة في البحث وعن اختياراتها المعرفية والمنهجية في التعامل مع موضوع شائك ومعقد على صلة بمجمل القضايا المعقدة المرتبطة بتاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر، ذلك أن المملكة الأردنية الهاشمية تمثل بموقعها الجغرافي وبهويتها الحضارية وبانتمائها السياسي إلى المجموعة العربية المحور الذي تصب عنده كل مشاكل تلك المنطقة. هذا فضلًا عن تفاوت قيمة أقسام الكتاب

وفصوله وأهميتها بالنسبة إلى القارئ المعاصر. فمن يرغب في التعرف إلى هذا البلد من مختلف الجوانب وبالتفصيل المطلوب لا يمكنه أن يستغني عن الفصل المعنون "الأردن الحي"، أما بالنسبة إلى القارئ الذي يهمّه خاصة وضع الأردن بعد حرب الأيام الستة وموقعه من الصراع العربي الإسرائيلي فلن يستغي عن الفصل المعنون "أيام ما بعد الحرب" ولا عن التفاصيل الدقيقة حول الانهيار الكامل الذي تعرضت له القرى الفلسطينية يوم 12 يوليو 1967 بعد خمسة أيام من إعلان إيقاف الحرب وخاصة قرية عمواس وحول سلوك الجيش الإسرائيلي في الأراضي المحتلة في خرق كامل لكل اتفاقيات جينيف وقد وصفته الباحثة وصفًا مفصلًا ودقيقًا وموضوعيًا حقيقًا بأن يحمل كل الذين يرفضون الاتهامات الموجهة إلى إسرائيل بسبب تصرفاتها في هذه الأراضي على مراجعة مواقفهم. قد يؤخذ على هذه الباحثة أنها لم تراع المسافة الضرورية لضمان الموضوعية إزاء النظام الأردني وأنها أبدت تعاطفًا مبالغًا فيه أحيانًا معه مما دفعها إلى إظهار موقف إدانة صريح للمنظمات الفدائية الفلسطينية وخاصة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حال دونها وتقديم صورة واضحة ودقيقة عما حصل في عمان من أحداث تعرف بأحداث أيلول الأسود (سبتمبر 1971)، رغم صعوبة مثل هذا العمل وما قد يسبّبه من إحراج لها، فضلًا عن ذلك قد يعيب عليها القارئ أنها سكتت عن

المفاوضات السرية التي أجراها الملك حسين مع المسؤولين الإسرائيليين بحثا عن حلّ سلمي منفرد معهم، ولكن في كل الأحوال يظل هذا الكتاب مرجعًا ضروريًا لكل من يريد أن يفهم واقع الأردن اليوم وأن يدرس أصوله وأسبابه التاريخية.

إنّ هذا الكتاب هو عرض مطول لتاريخ دولة عربية صغيرة حديثة النشأة ولدت نتيجة تفكك الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية وحكمت عليها الجغرافيا الطبيعية بأن تكون محدودة الموارد وضعيفة الإمكانيات الاقتصادية، إنها الأردن أو المملكة الأردنية الهاشمية التي تحدها شمالًا سوريا وشرقًا العراق وجنوبا الجزيرة العربية ومصر ويحدها غربًا إسرائيل ومشكلاتها ما يمنع عنها أي إمكانية للوصول إلى الساحل الخصيب للمتوسط. أربعة جيران أقوياء تبدو معهم الأردن وكأنها تختنق بهم، ولكن الخطر الأكبر يأتيها، من وجهة نظر الآنسة غواشون، من إسرائيل ومن المهاجرين الفلسطينيين الذين لم يجدوا ملاذًا قريبًا من وطنهم المفقود بعد أن طردوا منه إلا في الأردن حيث يستطيعون المحافظة على عدائهم لمن طردهم من ديارهم حتّى ولو كان ذلك على حساب قواعد الضيافة التي وجدوها في الأردن. وينضاف إلى هذه الأوضاع الجغرافية والجغرا-سياسية أن وجود الأردن نفسه يبدو موضوع شك، وقد استوجب كثيرًا من الدماء لإنقاذ الوضع والكثير من الصمود والديبلوماسية من أجل البقاء؛ ذلك أن ثلاثة أرباع

مساحة البلد صحراوية قاحلة بينما وجدت منطقة الأردن الأدنى بواحاتها الغنية وبزراعاتها الخصبة نفسها الآن تحت الوصاية الإسرائيلية بفعل الحروب المدمرة، وهو ما يجعل البقاء بهذا الثمن الباهظ بمثابة معجزة يومية ونجاح متجدّد بلا توقف.

خصصت غواشون كامل الجزء الأول من كتابها "الأردن الحقيقي" وفيه 580 صفحة لتاريخ هذا البلد ولخصائصه الجغرافية وهي خصائص تتحكم في حياة الأردنيين حتى إنها اعتبرت "الماء والأرض" الفواعل الأهم والأكثر فاعلية في حكاية هذا البلد، والسلعة الأكثر طلبًا في الأردن في كل العصور. تطرقت باختزال كبير وفي بضع صفحات للتاريخ القديم، وذكرت أن العالم الشبه أسطوري الذي يقدّمه الإنجيل عن هذه المنطقة لا يتيح لهذا الكتاب مادة وافرة بل هي عناصر ذات أهمية نسبية لا تسمح بغير تلوين القاعدة وتغذية خيال السائحين الذين أتوا لاستكشاف أرض إبراهيم بعد أن كانوا قد مروا بأرض المسيح. وفي الحقيقة هم يكتشفون خاصة ذكريات المستعمرين الرومان والإغريق أو سكان ما بين النهرين والآثار البالبو-مسيحية أو بقايا الحروب الصليبية. إن العصر الوسيط الذي امتدّ طويلًا في الشرق الأوسط والسلطة العثمانية التي أحدثت شللًا في البلاد على امتداد قرون، وإن مكنتها من أطول فترة سلام عرفتها هذه المنطقة المضطربة من العالم حسب رأيها، وتسلّل القوى الغربية التي تسعى إلى تقاسم بقايا "الرجل المريض"، والمراوغات

الديبلوماسية التي نشأت عن المؤامرات السرية وقادت إلى مسارب معاهدات فارساي وخاصة إلى معاهدات سافر في 1920 التي أثارت ردود فعل عنيفة في عالم عربي بدأ يستيقظ، ثم تحدثت عن فترة ما بين الحربين وما عرفته من غليان سياسي، فعن فترة الحرب العالمية الثانية وامتداداتها وآثارها في الشرق الأوسط، كل هذه المحطات التاريخية التي لم تكن معروفة لدى القارئ الغربي عرّفت بها غواشون في كتابها هذا تعريفًا مفصلًا، دقيقًا، جيد التوثيق. لم تكن الآنسة غواشون تجهل مشاكل ذلك البلد وقد قادتها معرفتها بها رأسًا إلى المركز منها، إلى الملك حسين الذي تنكر المؤلفة تتبّع التاريخ السياسي لحكمه ومع ذلك كرست له فصلًا بـ 59 صفحة، ومن الإنصاف الاعتراف بأنها كرست فصلًا طويلًا كذلك للاجئين الفلسطينيين ولمشكلة المهاجرين وبدت دقيقة فيما قدمته من وصف وتشخيص. ولكن المؤلفة ركزت على ما عدته من مزايا هذا الحاكم ومن مظاهر إدارته الحكيمة لتلك المشكلات، وهذه أحكام تدلّ على إعجاب قد لا يشاطرها فيه قارئ لا ينكر شجاعة هذا الملك وخصاله الفكرية ولكنه مع ذلك لا ينكر أنه ظلّ يدير إلى حدود منتصف القرن العشرين نظامًا إقطاعيًا قائمًا على الإرادة المنفردة للحاكم.

لا شك في أن ديناميكية الملك وحداثة توجهاته كانتا ضمانة لتقدم المملكة الأردنية الهاشمية، وليس في هذا الكتاب ما قد يسوّغ الشكّ في نوايا التقدم الاجتماعي لبلد عرفته

المؤلفة معرفة واسعة ودقيقة وخصصت له عددًا كبيرًا من الصفحات لا يجادل في قيمتها أكثر علماء الاجتماع حرصًا، "الأردن على قيد الحياة" هو هذا البلد الحالي الذي بدا في هذا المؤلّف بلدًا يسير نحو التقدم، وقد حظيت كل مظاهر الحياة بعناية الباحثة: التعليم وما شهده من إصلاحات، الازدهار الفكري، تطوير الجيش وتحديثه، استقبال اللاجئين، الطب، الفئات الاجتماعية المختلفة، الأوساط الدينية العديدة والعجيبة التنوع في بلد قليل السكان، المسيرة نحو التقدم لبلد كان يعمل على التحرّر من الضغوط الخارجية والداخلية التي كادت أن تخنقه، الأعمال الكبرى المنجزة أو التي هي في طور الإنجاز... كل هذه الموضوعات وغيرها عالجتها الباحثة بدقة عالية وبحب لما هو إنساني يبرز باستمرار في ثنايا صفحات عديدة يتحسّس فيها القارئ نفسًا أنثويًا لا يكاد يخفى، هناك ترى مشهدًا ملون الوصف مرسومًا بلمسات دقيقة ونشطة، وهنا تنصت إلى حوار حي واضح التصوير وكأنه عناق يمنح ويتلقّى من أعماق القلب. أما جفاف الرسوم البيانية والإحصاءات فإنها تحمل القارئ على أخذ ما يقرأ مأخذ الجدّ وعلى احترام الدقة التي تطبع دراسة لا تترك شيئًا للصدفة ولا للتقديرات غير الدقيقة، وكل هذا لا يخفي التعاطف الواضح لباحثة تحرص على أن تعطي أفضل ما عندها وهي تعيش موضوع بحثها وتتقاسم معه الطموحات والتحديات.

إن عمل الآنسة غواشون كفيل بتعريف القارئ الغربي بحقيقة بلد حديث النشأة ظل غير معروف لديه وبقادته الذين كثيراً ما كانوا هدف هجومات ودفعوا أحيانًا من حياتهم ثمن تعلقهم بوطنهم الصغير، وهذا عمل تراه الباحثة واجبًا أكيدًا: إنارة العالم الغربي وقيادته نحو حل شديد الصعوبة لمشكلات راهنة ونحو إرساء سلام دائم كم يحتاجه الشرق الأوسط اليوم.

إن كتاب أميلي ماري غواشون كتاب لا نستطيع أن نقرأه بسرعة، لأنه يدفعك دفعًا إلى التوقف من أجل التفكير عميقًا وتصحيح الأفكار الجاهزة والأحكام المسبقة التي يعاني منها العالم العربي، كتاب لا يمكن تجاوزه إذا أحببنا أن نفهم مشكل الشرق الأوسط.

ـ القدس، فلسطين وقضايا اللاجئين

اعتنت أميلي ماري غواشون بفلسطين وبما خلفه الاحتلال الإسرائيلي من أوضاع مشكلة من بينها خاصة وضع الفلسطينيين الذين طردوا من مدنهم وقراهم فوجدوا أنفسهم لاجئين في البلدان المحيطة وخاصة في الأردن. في مقال عنوانه "التدمير الراهن للقدس" أكدت الآنسة غواشون أنها تعرف معرفة دقيقة ومفصلة وميدانية ما يحدث في القدس آنذاك بفضل تكرر زياراتها لها، وكانت مجمل مواقفها بشأن ما تعرضت له المدينة المقدسة من مخططات ترمي إلى تغيير طبيعتها من مدينة

"كونية" يجتمع فيها التاريخ الروحي للأديان التوحيدية الثلاثة ومعالمه الكبرى وتهفو إليها أرواح المؤمنين إلى مدينة يهودية يعمل الاحتلال الإسرائيلي على جعلها مناسبة لتكون عاصمة لدولته، نابعة من خلفية دينية مسيحية ترفض تلك المخطّطات وتدافع عن معالم المدينة المسيحية وعن الوجود المسيحي فيها بقدر ما تتمسك بطبيعة تلك المدينة الكونية.

وهي ترى أن هذه المدينة بحكم مكانتها عند المؤمنين الموحدين قد اكتسبت في الحاضر مزيدًا من الأهمية جعلت منها "عقدة الحرب والسلم معا"[1] والموطن الجوهري لحياة الروح، بل ولكل حياة إنسانية، وقد كانت وما زالت، بما تحتفظ به في ذاكرتها ومعمارها من آثار، موطن القلب على خارطة العالم المعروف. وهي تتساءل بإدانة ضمنية: من المسؤول عن التدمير الذي تتعرض له؟[2] وهي تتساءل بأمل مازال قائمًا: هل يعدّ لها المستقبل وضعًا يحفظ لها مكانتها موطنا للقلوب المؤمنة؟ كما تتساءل بحسرة واضحة: هل ستتوقّف هذه المدينة في المستقبل القريب عن أن تكون مدينة كونية مفتوحة أمام كل المؤمنين وهي المدينة التي لم تكن

(1) Jérusalem, fin de la ville universelle? / A. M. Goichon / Paris: G.-P. Maisônneuve & Larose, (c1976) avant-propos

(2) L'Actuelle destruction de Jérusalem / Roma: Istituto per l'Oriente , 1973

على مر تاريخها من المدن التي مارست سلطة في الأرض؟ إنها لم تكن أبدًا مركز حرب ولا مركز إدارة حتى وهي عاصمة ملك داود إذ سريعًا ما دُمِّرت والهيكل معها؛ لأن قدرها غير قدر المدن الملكية على غرار روما وبيزنطة ولا حتى على غرار دمشق، بل إن قدرها أن تكون مدينة موقّرة، ومقدسة لا إلى دين واحد بعينه بل إلى الأديان التوحيدية الثلاثة التي تجمع النسبة الكبرى من بني الإنسان. وهي تحتضن بكل المحبة أولئك الذين لا يكفّون عن التقاتل من أجل الهيمنة عليها، هذا التقاتل ما هو إلا الوجه السلبي للحب نفسه وهو خطأ فادح يفرق أولئك الذين كان يجب أن يتّحدوا في حبها وفي حمايتها وحماية كونيتها، الحروب الصليبية كانت هي الأخرى خطأ فادحًا، كما تقول، يدعونا إلى ألا ننسى حقيقتها الروحية الدائمة من أجل دور سياسي محدود، وهي ترى أن الوقت لم ينقض بعد وأنه بالإمكان إنقاذ هذه المدينة بحقيقتها تلك. لكن هذا الأمل الممزوج بالتطلع إلى مستقبل تنقذ خلاله المدينة لا يخفي الحقائق التي استعرضتها في مقالها "تدمير القدس راهنًا" حيث تصرح بأن إسرائيل تعمل جهدها من أجل تغيير معالم المدينة عمرانيًا وبشريًا حتى تتحول إلى مدينة يهودية، وتحملها مسؤولية ما يتعرض له أهلها من المسيحيين والمسلمين من تهجير، وهي تؤكد أنها تعرف معرفة جيدة ما كان يحصل في هذه المدينة

عندما وقع شطرها الغربي تحت الاحتلال الإسرائيلي بحكم ترددها المستمر عليها، كما تؤكد صحة أحكامها بما قدمته من أدلة إحصائية عن التقلص المستمر لعدد المسيحيين في المدينة ومن شواهد تكشف المخططات الإسرائيلية الرامية إلى تهويد المدينة وإلى إفراغها من سكانها غير اليهود، مما أسهم في دفع عدد من المثقفين نحو البحث في حقيقة ما يحصل وما يتعرض له الفلسطينيون الذي اضطرتهم تلك المخططات إلى الفرار من بلادهم في حركة تهجير قسري[1]. ورغم ما تعرضت له بسبب مواقفها هذه من هجوم واتهامات بمجانبة الموضوعية وتزوير الحقائق وتحريف الأحداث وبموالاة الموقف العربي وبتبني وجهة النظر العربية حتى بلغ الأمر مبلغ اتهامها بمعاداة السامية[2] فإنها ظلت إلى آخر حياتها وفي آخر ما كتبت تدافع عن مواقفها وقناعاتها تلك وتطالب بضرورة حماية مدينة بيت المقدس من كل عمل يغير وجهها وطبيعتها[3].

---

(1) AKRICHE, ROGER. "Le Problème Des Réfugiés et Le Conflit Israélo-Arabe Propositions Pour La Paix." *Esprit (1940-)*, no. 352 (9), 1966, pp. 273–305, http://www.jstor.org/stable/24258359. Accessed 7 May 2022

(2) Chouraqui, André. "L'ACTUELLE DESTRUCTION DE JÉRUSALEM." *Oriente Moderno*, vol. 53, no. 9, 1973, pp.733 - 41, http://www.jstor.org/stable/25816028. Accessed 7 May 2022.

(3) نشرت الآنسة غواشون آخر كتاب لها في الموضوع "القدس: نهاية مدينة كونية؟" في 328 صفحة عام 1976 سنة واحدة قبل وفاتها.

3- مواضيع متنوعة

- **العلاقات الفرنسية العربية** : يندرج تحت هذا الموضوع عدد من المقالات قاربت فيها تلك العلاقات من زوايا متنوعة وارتباطاً بعدة مواضيع، ففي الثلاثينات نشرت مقالا عنوانه "مسؤولياتنا الاستعمارية"[1] تتبنى فيه الرأي السائد لدى أغلب المستشرقين آنذاك والقائل بمسؤولية الدول المستعمرة عن مساعدة مستعمراتها على تحقيق التقدّم والتحضّر حتى تكون في مستوى ما بلغه الغرب المستعمِر في هذا المضمار. ويقتضي ذلك تعليمه لغة المستعمر وتبشيره بما سيحصّل من المصالح العاجلة والآجلة إن تحول إلى ثقافته ودينه. وتشمل هذه المسؤولية كذلك المساعدة على الرفع من مستوى عيش الشعوب المستعمرة. ولضمان النجاح في النهوض بهذه المسؤوليات يحتاج المستعمِر إلى تعلم لغة المستعمَر، ولذلك دعت الآنسة غواشون فرنسا إلى مزيد العناية بتعليم اللغة العربية[2] وقدمت جملة من التصورات حول تعليم اللغة العربية بفرنسا وحول أفضل سبل تطوير ذلك والاستفادة منه. وعلى أساس هذه التصورات كذلك تحدثت عن الدور الذي يمكن أن تؤديه فرنسا في نشر الثقافة الفرنسية في البلدان العربية وفي خدمة الثقافة العربية كذلك[3].

---

(1) Nos responsabilités coloniales / Amélie Marie Goichon / Paris: Ligue missionnaire des étudiants de France , 1933

(2) L'enseignement actuel de l'arabe / Amélie Marie Goichon / [S. l.] : [s. n.] , 1940

(3) La France et la culture en pays arabes / Amélie Marie Goichon / Paris: Ed. du Cerf , 1947

- **دراسات ومقالات في مسائل دينية :**

ليس لأعمالها في هذا المجال اتّصال مباشر باختصاصها في الدراسات العربية والاستشراق، بل إنها تبدو أكثر تعبيرًا عن جانب من شخصيتها هو الجانب الديني العقائدي. فقد كانت كاثوليكية شديدة التقوى والالتزام الديني وكان من ثمار ذلك أول كتاب نشرته في مسيرتها البحثية سنة 1921 وخصت به إرنست بسيكاري حفيد المستشرق إرنست رينان، وهو ما قد يكون من العوامل التي حرضتها على التحول إلى الاستشراق والتخصص في دراسات البلاد العربية والإسلامية. حصلت بفضله على جائزة الأكاديمية الفرنسية وأعيد طبعه مرات سنوات 1925 و1933 و1946.[1]

وبنشر هذا الكتاب سنة 1921 بدأت مسيرتها البحثية قبل أن تتحول إلى الاستشراق والتخصص من ثمة في دراسة مواضيع تخص العالم العربي والإسلامي وثقافته، وقد يكون لهذا الكتاب ولعناية ماريتان بتقديمه دور في توجّهها هذا، كما قد يكون للأوساط الكاثوليكية المتدينة التي كانت تختلط بها دور كذلك فيما كانت معروفة به من التزام ديني، ظهرت

(1) Ernest Psichari d'après des documents inédits A.-M. Goichon; préf. par Jacques Maritain /1921

بعض آثاره في ما نشرت من مؤلفات ومقالات في قضايا دينية وعقدية منها مقالها" هل حياة التأمل ممكنة في هذا العالم؟"[1] ومقالها "الغفران"[2] ومؤلف «سر الثالوث المقدس بحسب القديس توما الأكويني»[3]، سنة 1944.

(1) La vie contemplative est-elle possible dans le monde ? / A.-M. GOICHON. / Paris : Desclée de Brouwer (DDB), 1952

(2) Le Pardon Texte imprimé / A.-M. Goichon / Paris, les Éditions du Cerf (impr. de A. Marchand) 1946. In-16 (165 x 125), 135 p. 70 fr. [D. L. 13528] -IIb-

(3) Le mystère de la Sainte Trinité, d'après Saint Thomas d'Aquin / A.-M. Goichon / Paris: Desclée de Brouwe

الفصل الثالث
نماذج من كتاباتها

"التمييز بين الماهية والوجود في فلسفة ابن سينا"، 1938، ص 438

إن كل ما هو حادث وكل ما هو موجود لا يأتي إلى هذا العالم إلا عن طريق الجوهر الذي هو الكائن الأعلى، الجوهر الوحيد القابل للتحديد بالنظر إلى الوجود. فضلًا عن هذا يؤكّد ابن سينا على أن الوجود حادث بالمقارنة مع سائر الجواهر، إضافة إلى تأكيده في الاتجاه نفسه على التمييز بين الماهية والوجود. ولكن، وبفعل الأمر نفسه المتمثل في أن توجه كل الجواهر نحو الوجود منعقد بالوجود المسبق في الذات الإلهية، هو وجود حادث بالنسبة إليها ووجود جوهري بالنسبة إليه، وهو الذي يخلق طبقًا لطبيعته الانهمار الصادر عما يحتويه جوهره، إن هذا التمييز متصل بنسق انبعاثي؛ أي: بما يبدو أنه يقصيه بالضبط. وهكذا فإن انسجام النسق السينوي الذي يبدو ظاهرًا أكثر من كونه حقيقيًا، يستند في النهاية على خطأ في الاستدلال. وما هو ثابت أن هذا الخطأ قد وقع في مناسبات عديدة وهو يسمح بإدراك التمفصل حيث يمكن دمج نظريتين متعارضتين

دمجًا مصطنعًا. هذا هو التفسير الذي رأيناه يكتمل شيئًا فشيئًا للأفكار المتضمّنة في التميز بين الماهية والوجود.

- "معجم مصطلحات ابن سينا الفلسفية"، 1938، مقتطف من المدخل

تقتضي قراءة أي فيلسوف معرفة مسبقة بمصطلحاته. وعليه فإن القارئ الغربي للفلاسفة المسلمين يشعر بنفسه فقيرًا؛ لأنه لا يفتقد مسارد اصطلاحية تعرّف بمعجم كلّ مؤلف فحسب، بل إنّه إلى ذلك يفتقد تمامًا معجمًا للمصطلحات الفلسفية، وكثيرًا ما كان هذا النقص موضوع نقد، مثلما فعل ميغال آسين بلاثيوس في المدخل الذي وضعه لواحد من كتبي (تقصد كتابها "مدخل إلى ابن سينا" الصادر سنة 1933) لم يكن سوى محاولة أولى في هذا المجال الواسع، وتتجاوب شكوى بلاثيوس من ذلك النقص مع أصداء شكوى دوزي Dozy[1] وهو يتحدث كيف وضع منذ بداية مساره مشروعًا لمعجم تقني واسع يؤرخ لكل مصطلح ويعرض كل تنويعات دلالاته وصيغه بالاعتماد على المراجع الأدقّ. وهو يشكو كذلك من ندرة المعاجم الاصطلاحية باللغة العربية، ومن افتقادها الحسّ التاريخي وعدم تعيينها المصادر التي تستمدّ

(1) دوزي (1820-1883) مستشرق هولاندي، اختص في دراسة تاريخ الأندلس وحضارتها، عرف بعمله في مجال المعاجم "تكملة للمعاجم العربية"

منها مادّتها حتى إننا لا نستطيع أن نحدّد لأي عصر ولا لأي كاتب يعود المعنى الأخير الذي استقر عليه المصطلح في المشرق، حيث بدأت محاولات لمعالجة هذا التشتت الذي تتسم به المعارف ولتجميعها في مسارد اصطلاحية تسهل استخدامها، ومازال هذا الإشكال لم يحلّ إلى اليوم، ففي 1912 بعثت وزارة التربية المصرية بالقاهرة لجنة لوضع عدد من المسارد الاصطلاحية التقنية الخاصة بمختلف العلوم، وقد قال لويس ماسنيون الذي دعي ليحاضر بجامعة الأزهر في المحاضرة الافتتاحية "بما أن الفلسفة هي المدخل إلى كل العلوم فإن وضع مسرد اصطلاحي بمصطلحات الفلسفة سيكون بمنزلة مدخل إلى هذا المشروع "(ماسينيون: تاريخ المذاهب الفلسفية العربية بجامعة القاهرة" مقال منشور بمجلة العالم الإسلامي، عدد 21، لسنة 1912، صص153-154) وقد كان يفترض أن يخصص خمسة دروس لمعجم المنطق، وأربعة لمعجم علم النفس، ومثلها للأنطولوجيا (علم الوجود). لم نكن وقتها من ضمن الحاضرين، ولكن رغبتنا في العناية بهذا المجال كانت قد أثارتها دروسه في "الكولاج دي فرانس" (معهد فرنسا) في شتاء 1926-1927 وكان السيد ماسينيون يتحدّث عن جدوى تقييد المصطلحات مصحوبة بمراجعها وحتى بمقابلاتها في الترجمات اللاتينية بحسب إمكانيات كل واحد. هذه أعمال جزئية ومشتّتة لا محالة ولكنها إذا ما جمعت ونسّقت ستشكّل

مؤلفًا متكاملًا. هذه الفكرة التي كانت أولى ثمار بحوثه الخاصّة، وبمنزلة رغبة أولى عبّر عنها في تعليمه قد وصلتنا، لا على هيئة موسوعية حيث يلتقي مشروع وزارة التعليم المصرية مع ما عبر عنه آسين بلاثيوس، بل على هيئة أبسط: معجم خاص بمؤلف واحد تعمّقنا فيه. وقد حاولنا في صمت.

من أجل قراءة ابن سينا الذي كنّا قد شرعنا في دراسته، كان يجب أن نضع على جذاذات، يومًا بيوم، عناصر معجم كان كفيلًا بأن يضيء نصًّا ما بنصّ آخر من نصوصه، وبتجميع كل الأمثلة للوصول أخيرًا إلى تثبيت دلالة كل كلمة، بل وحتى دلالاتها المتعدّدة. في هذا المعجم 2500 مثال بدت لنا الأوضح والتي على أساسها وضعنا لها ترجمات كان من المقدر لها أن تكون في مكان آخر[1] من دون شرح لدوافع اختيارنا هذا. رغم آلاف عديدة من المراجع التي تصاحب هذه الأمثلة وترجمتها اللاتينية أو التي تحيل على مقاطع أخرى مفيدة فإن الأمر هنا لا يتعلق بفهرس سينويّ وإنما هو مرجع مفيد من جهة للناطقين باللغة العربية وللمستعربين، ومن جهة أخرى للفلاسفة الذين لا يستطيعون العودة إلى نصوصه الأصلية، فيكونون مضطرين إلى تتبع فكر ابن سينا في ترجمات قد يصادف أن تكون حسنة وقد تكون غير دقيقة.

(1) تشير الآنسة غواشون هنا إلى كتابها "التمييز بين الماهية والوجود" الصادر بباريس في 1937.

يحتوي هذا المعجم على 792 كلمة مرتبة ترتيبًا ألفبائيًّا بحسب الجذور العربية، بهذا الشكل يكون المعجم قابلًا للاستعمال بالنسبة إلى الذين لا يعرفون اللاتينية ولا حتى الفرنسية وذلك بفضل الأمثلة، ومع ذلك فإن الأمثلة أقصر أحيانًا من الترجمات، إن أجزاء النص التي لا يثبت بدقة أنها ضرورية قد ألغيت تبسيطًا لشكل التقديم المطبعي. أما الكلمات التي تربط بين الجمل العربية المقتطعة مثل الفاء وإنّ وأنّ وغيرها... فإنها لم تترجم عندما لا يكون إهمالها مؤثرًا في معنى الجملة، لتفادي إثقال الجملة الفرنسية.

مقتطفات من خاتمة كتابها "تأثير ابن سينا في أوروبا في العصر الوسيط"

ها نحن بيّنا كم هو واسع وعميق تأثير ابن سينا، فما من دراسة لأيّ مفكّر من مفكّري العصر الوسيط لم تربطها روابط بالفلسفة السينوية. وقد رأينا بشكل أوضح كيف أنّ هذه الدراسات، كلما تعمّقت أكثر، أثبتت أنّ ابن سينا لم يكن مجرّد مصدر جميعهم أخذوا عنه، بل إنّه كان أحد أكبر معلميهم في مجال الفكر، إنه واحد من بضعة أعلام رجع إليهم الغرب بعد القديس أوغسطين وأرسطو وبوياس والقديس حنا دامسان. ورغم أن آراءه قد نوقشت ومنها ما فنّد بلا شكّ، فإنّ تأثيره قد بلغ من القوّة ما أعجز كل النقّاد عن تصور ما عسى أن

يكون عليه الفكر الغربي في العصر الوسيط لو لم يتعرّف عليه.

لا أرغب، بعد هذه السلسلة من المحاضرات، في أن أترككم على فضولكم التاريخي، ففي هذه المسائل فائدة حيوية، وقد رأيتم الاحترام الذي عومل به سابقًا شخص ابن سينا، وكيف التقى علماء بريطانيون وفرنسيّون وإيطاليون وألمانيّون في دراسته.

إنّني لم أحدثكم عن فلاسفة عرب آخرين مثل تلميذه المزعوم الغزالي وخصمه ابن رشد، فهذا خارج عن موضوعنا، ولكن في هذا اليوم، ونحن نستطيع أن نستعرض أثر هؤلاء جميعًا، سيكون لنا عرض شامل عن التعاون العربي-اللاتيني أو الإسلامي-المسيحي الذي بفضله ساعدنا الفلاسفةُ العرب على اكتشاف الحقيقة،[1] فحتى وإن ساعدهم في بداية الأمر المسيحيون طالما أن الترجمات الأولى كان قد وضعها

(1) يقول جيلسون عن هذا التقارب الذي ظهر لنا الآن: "ليست الفلسفة المسيحية وحدها ما عاد إلى الإنجيل وإلى اليونانيين، فالفيلسوف اليهودي ابن ميمون والفيلسوف المسلم ابن سينا بذلا بدورهما من الجهد ما بذله المسيحيون، فكيف لا يكون هناك تشابه واضح وتقارب حقيقي بين نظريات تستعين بالعناصر والموارد الفلسفية الأولى نفسها وتعود إلى المصدر الديني نفسه؟ لم تستند الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط إلى الفلسفة اليونانية فحسب، ذلك أن اليهود والمسلمين قد قدموا لها ما قدمه القدامى من خدمات لا تنسى " روح الفلسفة في العصر الوسيط، 1932، ص 196.

المسيحيون السوريون، فإنهم نقلوا إلينا بدورهم أفكارًا وضعوها بأنفسهم وظلت هذه الأفكار من أثمن ما يقدمه عالم الفكر لفائدة الإنسانية جميعها. مرّة أخرى أمجادًا عزيزة علينا جميعًا؟ لا شك في أننا تجاوزنا اليوم أولئك الذين سبقوا الدراسات الغربية بقـرون عدّة، ولكن هل كان بإمكاننا أن نحقّق كل هذا لو لم نستفد من الجهود التي بذلوها؟ فلم لا ندرس اليوم مع المسلمين عملًا مشتركًا في هذا المجال حيث نجد مرة أخرى أمجادًا عزيزة علينا جميعًا؟ لا شكّ في أننا تجاوزنا اليوم بقرون عدة أولئك الذين سبقوا الدراسات الغربية، ولكن هل كان بإمكاننا أن نحقّق هذا كلّه لو لم نستفد من جهود بذلوها على هذه السبيل؟ وإذا كان يمكننا اليوم أن نسلط الضوء على ما ينقص أفكارهم أفلا يكون في هذا إعادة لما أعطونا إيّاه؟

لو ظهرت اليوم حركة ترمي إلى توحيد الجيل الشرقي والغربي حول دراسة المؤلفات التي تشتمل على أفكار كثيرة ساميـــة وعلـى أطراف من الحقيقة أسمى، فإن هذه الوحدة في المجال الفكري كفيلة بأن تتوج حتمًا ما نجهد أنفسنا لتحقيقه في حقل الثقافة وفي حقول أخرى تعترضنا فيها صعوبات تهزّ كياننا نفسه وحياتنا. لا يجب أن تظلّ أنقى مناطق الفكر وأصفاها طويلًا محلًّا لتباعد لا نجد معه أنفسنا جنبًا إلى جنب.

- خاتمة كتاب "حياة النساء بمنطقة المزاب، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام"

تظهر حياة النساء بمنطقة المزاب في وسط شديد المحافظة على مبادئ الإسلام الجامدة. ولكن لن يكون الأمر من دون فائدة لو توقفنا قليلًا عند صخرة غرداية، في مرحلة تحاول فيها مجموعات أخرى من المسلمين أن تتأقلم مع النظريات الحديثة وأن تتطور حاملة تطلعات قويّة للّحاق بركب الأمم الأوروبية القوية.

سيتّضح الوضع العتيق الذي تعيشه المرأة المسلمة عندما نأخذ في الاعتبار أنّها ظلت إلى أيامنا هذه في هذا البلد الصغير محكومة بتقاليد دنيوية، وهي تقاليد تعرض علينا أهمية أخرى مخصوصة لأنها تسمح بإدراك الملامح المميزة لوضع المرأة المزابية.

إن الأسر التي أنهكها الزواج المبكر ودمّرها الطلاق قائمة، رغم ذلك، في الأغلب الأعمّ منها على نمط الزواج الأحادي. وضمنها تستأنف المرأة حياة كادحة، متقشّفة، إلا أنها أكرم مما هي عليه في مناطق أخرى كثيرة.

في كل العصور، خصّ الخوارج النساء بموقع مهمّ في المجتمع ولم يقصوها من التعليم الديني. ومازالت أصداء من هذه التقاليد قائمة اليوم فيما يمنحونها إياه من موادّ تثقيفية. ولئن كان هذا مقتصراً على أشياء أساسية في أغلب الحالات، فإن القبول نفسه بالمبدأ يمثل في حدّ ذاته تطوّرًا معتبراً على عموم إفريقيا الشمالية.

إن البنات وهن يتجاوزن سنّ الطفولة، يتلقين تعليمًا يرتبه تنظيم ديني نسائي، هو في الوقت نفسه مذهبي وأخلاقي، وتظلّ النساء يتلقّينه طيلة حياتهن. وهنا تكمن أهمّ خصوصية أباضيّة.

إننا لم نصادف في أرض الإسلام إلى الآن مؤسسة مماثلة لغسالات الموتى. إنهن يجتمعن كل سنة تحت رئاسة إحداهنّ حتى يتخذن قرارات لها سلطة القانون الاجتماعي والدينيّ، يعاقبن عليها بالاستبعاد من الجماعة. أما التعليم فإنه يوزع تحت سلطة هذه "الرئيسة" التي تمتدّ على القرآن وعلى أعمال بعض شيوخ المذهب الكبار، وشخصيتها مؤثرة وتستدعي الاحترام.

لم نتطرق هنا إلى القضية الكبرى المتصلة بالمذهب الخارجي الأباضي، وإنما حاولنا أن نعرض باختزال الممارسة الدينية لدى النساء. ورغم بعض الخصوصيات المدهشة في الإسلام،مثل الاعتراف بالأخطاء في ساعة الموت و"الصلاة" الخاصة أمسية يوم الجمعة، يبدو أن كل الجهود متجهة صوب التقيد بقانون إسلام عتيق وبسيط وحادّ ومتصلّب. أما التجديدات الضرورية للإبقاء على الجماعة طيلة قرون فإنها موجّهة هذه الوجهة، ويبدو أن كل شيء، بما في ذلك بعض الأساطير، مستلهم من المعين نفسه. لنتذكر حلاقة ابنة فرعون، هل إن اسم فرعون معروف من نساء الشعب في الجماعات السنية فحسب؟

لا شكّ في أن النتائج الدينية والأخلاقية قد تمّ تحصيلها. والاختلافات التي نلاحظها بين إفريقيا الشمالية ومنطقة المزاب

إنما هي جميعها لصالح المزابيين. فتأثير الوسط البربري بصفة مطلقة يظهر في كل الأنشطة المنزلية، ولا يلاحظ في الغياب شبه التام لمذهب الاعتقاد في الخرافات وفي تراجع الممارسات السحرية. إن الإسلام السني لم يحقق نتائج مماثلة لدى جماعات أخرى بربرية-عربية. لذلك يجب الاعتراف بأن الحماسة الأباضية، مهما كانت درجة الفوضى التي هي عليها، قد طورت أخلاقية النساء ونمّت قليلًا مستواهن الذهنيّ.

من وجهة نظر اقتصادية، لم يكن للمرأة سوى دور أسري. ولكن، ومن دون الخروج من حلقتها، كانت هي الوحيدة التي تمنح نغمة فنية لحياة أرادها المزابيون متقشفة وفقيرة. ففي حين كان الرجل يسعى في الكسب، كانت هي التي تصنع أدوات الاستعمال اليومية والحليّ والحدائق والأشكال التي تزين أنسجتها وتطريزها. أما بالنسبة إلى زينتها فإن القواعد تلين وتكون الحلي عنصر التبرج الوحيد المسموح به في البيت. وقد حصلت أخيرًا الإذن بأن تغنّي حتى تليّن العمل الرتيب الذي لا ينتهي، فتمنح أناشيدها لمسات منيرة، شعرًا حقيقيًا ومباشرًا وعنيفًا شيئًا ما ومؤثرًا أحيانًا.

إن المرأة المزابية النشيطة والذكية التي ظلت إلى اليوم محكومة بمبادئ دينية جامدة في حياة متقشفة، تدخل اليوم مرحلة تحول افتتحها الاحتلال الفرنسي. وقد كان من المهم تثبيت بعض ملامح طبع سيتغير قريبًا لا محالة.

الفصل الرابع
مختارات مما كتب عن أميلي ماري غواشون

رغم البحث الواسع والمعمق لم نعثر على مؤلفات نقدية مخصوصة بأعمال هذه الباحثة، وإنما هي مقالات إما تعرّف ببعض مؤلفاتها وتقدم لها مراجعة أو هي مقالات نقدية تدور حول ما عرفت به من آراء ومواقف في قضايا شغلت الرأي العام في عصرها، أوهي مقدمات ومداخل لكتبها مثل تقديم وليام مارسي لكتابها حول حياة النساء بمنطقة المزاب وتقديم المستعرب الإسباني ميغال آثين بلاثيوس لأحد أعمالها حول ابن سينا. هذا وقد طلبت الباحثة رأي زملاء لها بشأن بعض أعمالها، كما فعلت مع شارل بيلا عندما طلبت رأيه في كتابها حول الأردن فنشر له مراجعة.

ويليام مارسيه ومدخل إلى كتاب "حياة النساء في منطقة المزاب، دراسة سوسيولوجية للإسلام":[1]

بدأ وليام مارسيه المدخل الذي وضعه لهذا الكتاب بإدراجه في سياق الدراسات الاستشراقية العديدة التي حظيت بها هذه

(1) A. M. Goichon: La vie féminine au Mzab, étude de sociologie musulmane. Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1927, Préface: willam Marçais, pp VI-XI

المنطقة بأهلها ومدنها وثقافتها ومذهبها الإباضي منذ مطلع القرن العشرين، وقد استطرد طويلًا في استعراض الأعمال التي أنتجها هؤلاء حول تاريخ هذه المنطقة ونظمها وثقافتها بقدر ما توسع في عرض الأسئلة والقضايا التي حظي بعضها بالدرس ومازال بعضها الآخر في حاجة إلى الدراسة، ومن بينها تلك التي تتعلق بعالم النساء ومجتمعهن، حيث ذكر أن بعض الدراسات التي أنتجها باحثون عن هذه الموضوعات تظل منقوصة إمّا لأنهم لا يريدون أن يكشفوا كل ما يعرفون أو لأنهم لا يستطيعون الوصول إلى كل المعطيات الخاصة بعالم النساء المغلق.

وبناء على هذا يخلص إلى أن النساء الفرنسيات هن اللاتي تقع على عاتقهم مسؤولية الاستجابة إلى مطلب المعرفة بهذا العالم من أجل تجاوز الفقر الذي تتسم به خاصة في جانب المعيش، بواسطة تحقيقات ميدانية ودراسات اتنوغرافية وسوسيولوجية، وهو يسوّغ توجّهه إلى النساء تخصيصا[1] بأن "الإسلام لا يمنعهن ما يمنعه على الرجال من الوصول إلى عالم النساء المغربيات، وبأن التضامن على أساس الجنس أقوى من التناقضات الحضارية وهو لذلك كفيل بحلّ عقدة الألسنة وبإسقاط

(1) نذكر من الأمثلة كتاب "أخواتنا المسلمات" Nos sœurs musulmanes لماري بوجاجة، Marie Bougéja، Révue des études littéraires, Paris; 1921 كما نذكر SAINT-AMAND, H. GAULTIER DE: Les mystères du Harem,. Paris, Librairie Franco-Anglaise, 1920

الحجب" وهو يستدل لذلك بعمل هنري باسيه Henri Basset عندما أراد أن يدرس صناعة الصوف، وهي صناعة نسائية أساسًا، فلم يستطع أن يصل إلى عالم النساء إلا بفضل الاستعانة بامرأة فرنسية هي مديرة مدرسة أهلية وهو ما شهد به في قوله "توجد مسائل يبدو من المستحيل للتحقيق الميداني الذي يقوم به رجل أن يصل بشأنها إلى نتيجة، إن المرأة وحدها تستطيع الوصول إلى المعلومات المرجوّة، والمرأة المؤهّلة أكثر من غيرها للنجاح في هذه المهمّة هي تلك التي حازت الثقة الكاملة للمسلمات، وهذه نادرة جدّا".[1]

ومن هذا الباب تحديدا تطرق وليام مارسيه إلى عمل الآنسة غواشون.[2] فهي، على حدّ قوله "تملك الخصلة الجوهرية التي كان الفقيد مدير معهد الدراسات المغربية العليا، ويقصد هنري باسيه، يشترطها في الباحثات الميدانيات. ذلك أنها عرفت كيف تكسب كامل ثقة النساء المزابيات، وهو ما يفسر وفرة المعطيات التي استطاعت أن تجمعها وتقدمها في هذا الكتاب"

(1) يؤكد كلود ميليو كذلك C. Milliot في مؤلفه "أوضاع المرأة المسلمة ببلاد المغرب العربي" la condition de la femme musulmane au Maghreb» « الصادر بباريس سنة 1910 على هذه الأهمية، خاصة وأن المجتمع النسائي يشكل مجتمعا منغلقا قائما بذاته منفصلا عن مجتمع الرجال وهو ما يستوجب العناية بهن استكمالا للمعرفة المنشودة بالمجتمعات المغربية والإسلامية عامة

(2) مقدمة وليام مارسيه لكتاب غواشون، صx

ويضيف " إنه لم يكن بإمكانها أن تقدم ما قدمت لولا ما تتمتّع به من خصال أخرى أترك للقارئ متعة اكتشافها". ويؤكد أن دراسة بهذا الحجم وبهذه الأهمية عن منطقة المزاب من جهة وعن حياة النساء هناك من جهة أخرى هي دراسة قادرة على استقطاب الاهتمام والعناية. ذلك عمل الآنسة غواشون لا يستمد قيمته في نظر ويليام مارسيه من الموضوع فحسب على أهميته، ولا حتى من ثراء ما جمعته فيه من معطيات ميدانية وتاريخية على غاية الثراء لا يستطيع أن يصل إليها أي باحث من الرجال، حتى ولو كان من المسلمين أنفسهم، بل يستمده أيضًا من أهمية الأدوار التي تنهض بها النساء في مجتمع يبدو أن الاحتلال الفرنسي يحتاج كثيرًا إلى معرفتها، فهؤلاء النسوة كما تقول عنهن الباحثة: "يشكّلن الهيكل الخفي لكل المعمار المجتمعي، وهن اللاتي يتحمّلن الإكراهات التي يفرضها عليهن قانون السلامة العامة، وهن اللاتي يحفظن استدامة الجماعة الإباضية. فبين الحياة اليومية البسيطة لهؤلاء النسوة شبه الأرامل -في إشارة من الباحثة إلى الغياب الدائم للرجال في التجارة أو العمل- المجتهدات، الكئيبات، وسيئات التغذية والعظمة الخفية لدورهن يبدو التناقض لافتًا للنظر" (الكتاب، ج1، ص14).

يؤكد مارسيه أن كتاب الآنسة غواشون يقدم معطيات جديدة وغير مسبوقة، منها ما ورد على سبيل المثال في صفحتي (105-106) وملاحظاتها حول أساليب عمل النساء

تبدو ثمرة قدرة مرهفة جدًا ودقيقة جدًّا على الملاحظة، لقد تعلمت شخصيًا كثيرًا من قراءة الفصول التي خصّصتها للسحر وللدين والتي غذتها بالوقائع، أما أدوار "غسالات الموتى" فالآنسة غواشون هي من وصفها أول مرة وصفًا دقيقًا. إن الآنسة غواشون لترسم لنا بوضوح مثالي القضية التي بفعلها تحولت تلك المجموعة النسائية الصغيرة، غسالات الموتى، إلى محكمة تفتيش ومندوبات لرجال الدين في مراقبة الأوساط النسائية، وهذا ما جعل من هذه الهيئة بمنزلة عضو مصاب بإفراط التضخم كفيل بأن يتطور تطورًا مشهودًا، لو كان ذلك في مجتمع تكون فيه النساء أقل عرضة للاستبداد وتكون فيه السلطة أقل استعدادًا لممارسته، فالدور الذي تلعبه كبيرة غسالات الموتى في طقوس الختان والزواج (ماما نسيمان على سبيل المثال) (ص 50، صص 86-87)، أي في احتفالات ليس لهن،بحكم أدوارهن الأصلية، ما يفعلن فيها، تشهد بتوسع ينذر بهيمنة هذه الفئة الأقلية على كل الحياة الاجتماعية. ألا يجب أن نرى في هذه التدخلات بقايا كهنوت عتيق اندثر ثم أعاد الإسلام استخدام؟

لم يقتصر مارسيه على استعراض خصال الباحثة ومحاسن بحثها بل إنه نظر فيه نظرة نقدية كذلك فذكر ما يعتبره مواطن تقتضي شيئًا من الاحتراز، أرجعها خاصة إلى النصوص وإلى اللغة أو المعجم، حيث يقول: "إن الإنصات إلى أصوات لغة

أجنبية والحص على رسمها رسمًا مطابقًا باستخدام الحروف اللاتينية إنما هي أعمال محدودة الأهمية ولكنها مفيدة، وهي تتطلب تعلّمًا طويلًا ودقيقًا. والنصوص التي جمعتها الآنسة غواشون منها البربرية ومنها العربية ومنها ما هو مختلط يمزج بين اللغتين." وهو يرى أنه كان من الأجدى لو أن الباحثة تساءلت: إلى أي حدّ كانت أولئك النسوة مزدوجات اللغة؟ وكيف لهن بمعرفة اللغة العربية وهن منغلقات وشبه أميات؟ لقد كنا نرغب في معرفة الجواب" تساءل كذلك عن موضوع لم ينل حظه من عناية الباحثة بسبب غلبة المنهج الوصفي التوثيقي، وهو الدوافع وراء استبعاد اللغة المحلية في ما تستخدمه أولئك النسوة من نصوص وعبارات في ما يقمن به من أعمال السحر مقابل استخدامهن العربية بدلًا منها، فهل تعود الظاهرة، حسب تساؤلاته، إلى حاجة مثل هذه الأعمال إلى لغة تكاد تكون أجنبية، لغة شعائرية وأكثر تخصصًا في التواصل مع العوالم الخفية والقوى غير المنظورة؟ أم أن الأمر يعود فقط إلى أن النساء الساحرات ينتدبن من بين العربيات المحتقرات؟ فضلًا عن ذلك أكّد أن في عمل الآنسة غواشون مواطن أخرى عديدة تحتاج إلى معطيات أوفر وأدقّ. وهو يعلن أن الباحثة نفسها أدرى من غيرها بهذه النقائص وبأنها عازمة على تداركها وستشرع قريبًا في تحقيق ميداني تكميلي بمنطقة المزاب. وهو يتمنى لها النجاح في أن تجمع حصادًا

جديدًا من الوقائع والمعطيات والملاحظات يكون في مستوى دقة ما جمعته سابقًا وثرائه وأن توظف في بلورة ما تجمع كل الكفاية التي يشهد بها هذا الكتاب ويختم "وبالنسبة إلى هذا المطلب نستطيع، كما أعتقد، أن نثق فيه كامل الثقة" وهو ما استجابت له الباحثة فعلًا ونشرت بعد أربع سنوات من نشر هذا الجزء ملحقًا بتفاصيل ومعطيات ومعلومات جديدة .

سامية نور الدين شلاط وتعريب كتاب الآنسة غواشون عن حياة النساء بمنطقة المزاب

بعد اثنتين وتسعين سنة ترجمت الباحثة السوسيولوجية الجزائرية سامية نور الدين شلاط كتاب الآنسة غواشون عن نساء المزاب إلى اللغة العربية، وقد فعلت ذلك بدافع الاقتناع بأهمية هذا الكتاب الذي اعتبرته وثيقة تكاد تكون منفردة عن هذا الموضوع، مثلما اعتبرت تعريبها هذا ضربًا من التحدّي أرادت أن تكسبه وهي المنتمية إلى المجتمع المزابي، وأن تقدّمه إلى القارئ العربي الراغب في الاطلاع على تاريخ المجتمع النسائي المزابي في الربع الأول من القرن العشرين. ويعدّ الإقدام على تعريب هذا الكتاب نوعًا من الاعتراف بقيمته العلمية. أما في عملية التعريب نفسها فإن المترجمة حرصت على الوفاء الدقيق لكل ما جاء في هذا الكتاب، فكان عملها محترمًا شروط الترجمة من وفاء للنص وحرص على تقديمه في الصورة نفسها التي جاء عليها في

الأصل، من دون أن يعني ذلك أن هذه الترجمة كاملة الشروط، خاصّة وأنها التجربة الأولى للمترجمة في هذا المجال.

وقد انتهت من تعريبها ذاك إلى عدد من النتائج التي تعبر عن رأيها هي بوصفها مترجمة، في كتاب الآنسة غواشون، حيث وجدت أنها قد بلغت فيه الغاية بتقديم صورة موضوعيّة واضحة عن المرأة المزابيّة ونمط عيشها في بداية القرن العشرين وإن كانت ما تزال بحاجة إلى مزيدٍ من الدقة والاستقصاء، نظرًا لطبيعة الوسط النّسوي المحافظ الذي كان في اللحظة التاريخية تلك منغلقًا لا يرحب بالغريب، وخاصة إذا كان غير المسلم، ممّا صعّب على الباحثة الوصول إلى بعض المعلومات الصحيحة بشأن بعض المسائل الدقيقة التي يصعب على غير المزابيات الوصول إليها وفهم دلالاتها العميقة. وهذا ما يفسر ما أضافته الباحثة في هوامش ترجمتها من تعليقات وتوضيحات ومعطيات لم يكن لغيرها، بصفتها مزابية تتقن اللغة المحلية القدرة على الوصول إليها، كما يفسر ما أدخلته من تصحيحات على بعض الكلمات والعبارات المحلية التي رأت أنّ الكاتبة لم توفّق في نقلها وكتابتها بالحروف اللاتينية، وذلك بإتباع الطريقة المعتمدة في الأدب الأمازيغي. كما ترى المترجمة أن الباحثة المستعربة قد وفقت إلى استعادة المشهد النّسوي في تلك الحقبة من تاريخ وادي مزاب، خاصة ما تعلّق بـ "ماما نسليمان"، تلك الشخصية القوية القيادية العالمة الورعة بشهادة من شخصية أجنبية

عاصرتها وعايشتها. أشارت المترجمة كذلك إلى فضل عمل الآنسة غواشون في الاحتفاظ بما يوثّق لعديد من التقاليد وتفاصيل الحياة اليومية والأعراف الاجتماعية للمجتمع النسائي المزابي التي تشهد المترجمة بكونها اختفت في زمن الترجمة ولم تعد جزءاً من حياة المرأة المزابية في عصرنا. ومن الخصال التي رأتها في هذا الكتاب أسلوبه القصصي المشوق وما عبرت عنه الباحثة من قدرة على توضيح العديد من المعطيات فيما أضافته من تعليقت وتوضيحات في هوامش الكتاب وحواشيه. إلا أن المترجمة عابت على الآنسة غواشون ميلها في بعض الأحيان إلى اللف والدوران حول المعنى من دون الوصول إلى المقصود منه والإطناب أحيانًا أخرى في التفاصيل إلى حد إضاعة ما يستحق أن تركز عليه.

فارنند فون ستينبارغن : مراجعة كتاب الآنسة غواشون "التمييز بين الجوهر والوجود في فلسفة ابن سينا"[1]

يبدأ فون ستينبارغن بالتعبير عن اعتذاره؛ لأن ظروفًا حالت دونه وتقديم هذا الكتاب قبل هذا الوقت، ذلك أن الكتاب

(1) Van Steenberghen Fernand. A.-M. Goichon, La distinction de l'essence et de l'existence d'après Ibn Sīnā (Avicenne). In: Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, tome 45, n°5, 1947. pp. 109-111;
https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1947_num_45_5_4096_t1_0109_0000_2

صدر سنة 1937 بينما لم يأت تقديمه إلا بعد عشر سنوات، أي سنة 1947، وهو يعتبر أن مرور هذه العشرية لم ينقص في شيء من قيمة هذا الكتاب ومن أهميته، ذلك أن الآنسة غواشون كما يقول في شهادته"قد تخصصت منذ وقت طويل في مجال الثقافة العربية وأن منوغرافيتها حول فلسفة ابن سينا هي ثمار تأمل طويل ودؤوب في النصوص الأصلية، وهي نصوص ممتنعة عن أغلب المختصين في العصر الوسيط. إن هذه الباحثة لم تألُ جهدًا من أجل النفاذ إلى الموقع المركزي الذي منه أشعّ فكر هذا المعلم العربي والذي يؤمّن وحدته العميقة، هذا المركز هو التمييز الشهير بين الجوهر والوجود". أما خطة العمل في هذا المؤلف فهي في نظره بسيطة بقدر ما هي واضحة، إنها تتضمّن كتبًا أربعة، في أولها شرحت الباحثة ما هو الجوهر وما هو الوجود عند ابن سينا، وفي الثاني شرحت أطروحة ابن سينا في الموضوع: الجوهر والوجود متمايزان في الكائن المخلوق إلا أنهما يتحدان في الله، وهنا نعثر على النظرية الشهيرة حول الممكن والواجب، وبعدها على التصور السينوي للخلق، وأخيرًا على الدليل على وجود الله بواسطة تحليل فكرة الوجود. في الكتابين الأخيرين نشهد توالي النتائج المترتبة على الأطروحة السابقة. إن هوية الجوهر والوجود في الله تتيح استخلاص الصفات الإلهية: الله مطلق، واحد، صمد قائم بذاته، هو الحق والخير والحب والحياة (الكتاب 111).

وعلى نقيض ذلك يترتب على التمييز بين الجوهر والوجود في المخلوقين نتائج منطقية تسمح بشكل واسع بتحديد طبيعة الكائنات المادية وطبيعة الكائنات اللامادية (الكتاب الرابع). يمكننا القول إن لميتافيزيقا ابن سينا كلها موقعًا ضمن هذه الأطر العامّة، ويكفي للاقتناع بذلك وبثراء هذا المؤلف الاطلاع على فهرس المحتوى (صص521-530). جداول مقابلات، وبيبليوغرافيا وفهارس تكتمل بها زينة هذا المؤلف الجميل، على حد عبارة ستينبرغن. ومن أراد أن يعرف المعنى الدقيق لحشد كبير من المفاهيم الفلسفية الموجود في نصوص ابن سينا لا يسعه سوى الرجوع إلى كتاب الآنسة غواشون هذا، كما يجب العودة إليه في حالات أخرى كثيرة لفهم الطريقة التي تكلم بها طوما الإكويني، وهو من استعاد في كتاباته المبكرة خاصة كثيراً مما جاء عند ابن سينا، ويعيد فون ستينبرغن الفضل إلى الآنسة غواشون في كوها هي من أظهرت العلاقات بين هذين العلمين في اتجاهي التأثير المتبادل بين فلسفتيهما. كما يؤكد فضلها ودقتها وعمق أطروحاتها في إبراز الثنائيات الأساسية للمنظومة السينوية، فمن جهة استلهام المصادر تحدثت عن ثنائية الأرسطية والأفلاطونية المحدثة، حيث يبـدو الإزعاج كبيراً إلى الحد الذي يحول دون ابن سينا وإدراك المشكلة التي تستوجب حلًّا. ففي الواقع، وباعتبار أن "المنحولات" الأرسطية تنسب إليه مبادئ الأفلاطونية المحدثة

الأساسية فإن من البديهي أن يذهب في ظن ابن سينا أن التوفيق بين الفيلسوفين سهل. لقد أبرز ستينبرغن في هذا التقديم المختزل قدرة الآنسة غواشون على فهم إشكاليات فلسفة ابن سينا وعلى تبسيطها للقارئ الغربي حتى يتمكن بدوره من فهمها، فضلًا عن سعة اطلاعها على الفلسفتين الإسلامية والغربية في العصر الوسيط وعلى ما انعقد بينهما من صلات كانت تصب في فلسفة ابن سينا.

تعريب كتاب "فلسفة ابن سينا وتأثيرها في أروبة في العصر الوسيط"[1]

يقول عنها رمضان لاوند في تقديم قصير بصفحة واحدة قدم بها ترجمته كتابها "ابن سينا وأثره في أوروبا في العصور الوسطى": السيدة جواشون مستشرقة فرنسية وقفت حياتها كلها للتعرف إلى الفلسفة الإسلامية ومنابعها الحقيقية وقد بلغت في ذلك مبلغًا بعيدًا من التعمّق والتجديد، فأطلعت الأوساط الاستشراقية الأروبية على جوانب خصبة منها ولا سيّما من خلال دراستها لابن سينا فيلسوف النفس. وهي من أشد المستشرقين حماسة لهذه الفلسفة وأكثرهم اقتناعًا بأصالتها وامتيازها. وهذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء دليل واضح على

(1) أميلة مارية جواشون: فلسفة ابن سينا وأثرها في أوروبة في العصر الوسيط، ترجمة رمضن لاوند، القاهرة، دار العلم للملايين، 1950.

عظيم إعجابها بالإنتاج الإسلامي العقلي، وإيمانها بعبقريته وعبقرية اللغة لتي عبرت عنه" ويمثل تعريب هذا الكتاب نوعًا من الاعتراف العملي من قبل الدارسين العرب لهذا الجهد ولتلك المواقف المنصفة من الآنسة غواشون تجاه الثقافة الإسلامية.

شارل بيلا ومراجعته كتاب "الأردن الحقيقي"[1]

يذكر شارل بيلا أن الآنسة غواشون قد عاتبته برقة كبيرة بعد إصدارها الجزء الأول من هذا الكتاب لأنه لم يقدمه البتة ولم يعرف به لدى قراء مجلة "أرابيكا" التي يديرها. وكان جوابه على عتابها أنه كان من غير الممكن بالنسبة إليه أن يعبّر عن رأي في كتاب لم يكن قد اكتمل بعد. ويضيف "كنت حينها بعيدًا عن تصور أنه سيكون عليّ أن أقرأ وأن أعيد قراءة مجموعًا من الصفحات يتجاوز الألفي صفحة حتى أعلن لقراء أرابيكا عن نشر كتاب في مثل هذه الأهمية سواء بمضمونه أو بحجمه. في الحقيقة كان بإمكاني الاكتفاء بقول "إن الآنسة غواشون تعرض في هذا الكتاب صورة مدققة عن الأردن ولا يسعني إلا أن أنصح بقراءته المؤرخين والصحفيين والسياسيين

(1) Pellat, Charles: (1973). A.-M. GOICHON, Jordanie réelle, I, Desclée de Brouwer, Paris 1967, 1 vol. in-8° de XVII + 580 pp. ; II, G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1972, 1 vol. in-8° de XVI + 1444 p, *Arabica*, *20*, 207-209. https://doi.org/10.1163/157005873X00455

الذين يعنيهم الشرق الأوسط المعاصر، مثلما يعنيهم خاصة مجهود الأردنيين لتطوير بلدهم بالتغلب على كل الصعوبات التي تعترض طريقهم، طبيعية كانت أو بشرية، وهذه هي الخلاصة التي تفرض نفسها، ولكن من الثابت أني كنت سأشعر بأني خنت الآنسة غواشون لو توقفت عند هذا: إنه تقويم إجمالي ميسّر لمتخصصة في ابن سينا، وعاكفة منذ ما يناهز النصف قرن على التحقيق الاجتماعي في بلاد الإسلام، مسيحية متحمسة صارت معادية للصهيونية، لا تخفي الآنسة غواشون تعاطفها مع البلدان العربية وخاصة مع الأردن وملكه وشعبه، ذلك أن "وضعه المأسوي الذي يساء فهمه أو يشوّه عن قصد يؤثر بطبيعته في أكثر الباحثين موضوعية بقدر ما يستدعي إنجازه المستحقّ احترام الملاحظ الموضوعي وتعاطفه" على حد قولها (ج1، ص VII) فضلًا عن ذلك تعبّر الكاتبة من دون مواراة عن تصورها للتاريخ وضمنه أن "إن الأمر الأساسيّ الأهم إنما هو في استجابة الإنسان الطوعية لهذا الاندفاع المدهش نحو الخير كما يدركه وكما هو صادر من أعمق أعماقه، اندفاع مختلف مع كل أحد وذو قيمة واحدة ولكن التصرفات هي التي تحدد من الذي يعيّنه بموضوعية. إن أي مؤمن بالله، مسيحيًا أو مسلمًا، مشروع له أن يتساءل: ما الذي يهمّ الله من كل هذا الذي يجري على الأرض؟ لا يبدو أن ما يعنيه هو الأحزاب أو "الحكواتيون"، ما يعنيه حقّا هو استجابة الإنسان لفكرة الخير

الكامنة في أعماقه وبحسب نوعية الفكرة ونوعية الفعل. هذه هي القيمة الإنسانية التي تظهر" وهي لا ترى أي تناقض في البحث عن الحقيقة وعن القيمة الإنسانية لدى الأشخاص اليوم بعد أن بحثت عنها طويلًا في أعمال فيلسوف عربي عظيم هو ابن سينا، تمامًا مثلما لا تجدها في البحث عما يبدو لها أنه النقطة التي تتركز عليها نظرة الإله" (ج II، ص XI) إن الغاية بلا أدنى شك محمودة أما التنفيذ فإنه يشكو من بعض اهتزازات التوازن والانقطاعات بسبب الأحداث التي قلبت التوقعات، في الواقع جاء ثلاثة أرباع الكتاب وصفًا للوضع مثلما كان عليه عشية حرب الأيام الستة حتى إنه كان من الأفضل لو أنها أخّرت إصدار الجزء الثاني مثلما تم تصوره أقل مما تأخر. طبع الأول في جوان 1967، والإنذار المؤرخ في 5 جويلية من السنة نفسها قد انتهى برغبة في سلم دائم متبوع بإصلاح أوضاع الأردن، فهو الذي "يستطيع أن يقوم وحده بقضية اللاجئين وأن يمكنهم من حياة طبيعية" بواسطة إجراءات تعتمد في الوقت نفسه عل أولئك الذين كانوا سببًا في جعل هذا الوضع أخطر. كانت الآنسة غواشون تتطلع باستمرار إلى وضع أولئك الضحايا، ولم تكن تتصور أن الأقسام الثلاثة الكبرى التي قدرتها والتي تتطابق مع مخطط معقول ستظهر غير كافية وأنه يستوجب إضافة قسم رابع من أكثر من 700 صفحة، وبعد قسم أول قدمت فيه صورة عامة عن وضع الأردن قبل 1967 قدمت ملخصًا عن الإطار الجغرافي

الذي تعرفه جيداً بحكم أنها قطعت البلاد في كل الاتجاهات بفضل الخدمات التي قدمتها لها السلطات الرسمية التي يسرت لها بعثاتها المتعددة، ثم استعرضت تاريخ المنطقة بدءاً من الآثار البشرية الأولى صولًا إلى إنشاء إمارة شرق الأردن والانتداب البريطاني، ثم تناولت في القسم الثاني المخصص"لمشاكل الأردن المعاصر بين 1921 و1949" حيث ركزت على المجال الريفي معللة ذلك بقولها "قيل إن التاريخ يبدأ بسمفونية زراعية وينتهي بمأساة" (I, 132)، أما مشكل المياه، وقد سبق أن درسته في كتاب مخصص لذلك منشور سنة 1964، مختلف خطط تقسيم فلسطين، حرب 1948 وهجرة اللاجئين. تتحدث الآنسة غواشون عن أهم دوافع تأليف كتابها فتقول هو "الإصرار الإسرائيلي على ترديد أن إسرائيل تعرضت للغزو من العرب" ولنقض هذا الادعاء بسطت خريطة المعارك وبينت أن إسرائيل لم تكن قد تعرضت للغزو قبل 15 ماي 1948. وفي ما يخص اللاجئين أكدت أنه، وبخلاف ما جاء في أسطورة نشأت بين 1957-1958، لم تعط الدول المجاورة قط الأمر للعرب بمغادرة إسرائيل وتعتمد في هذا على تحقيق صحفي إيرلندي وعلى تسجيلات أنجزتها الإذاعة البريطانية la B. B. C. بالشرق الأوسط سنة 1948، مثلت أوضاع اللاجئين وأعمال الوكالة الأممية لغوث وحماية اللاجئين الفلسطينيين موضوع عدد من الفصول الثرية في هذا الكتاب. أما القسم الثالث الموسوم

"الأردن الحيّ" فإنه كان أكثر توسعًا من القسمين السابقين وفيه برهنت على الجهود التي بذلها الملك عبد الله وجهود حفيده الحسين خاصة من أجل إنشاء دولة حقيقية واستثمار كل موارد البلاد من أجل تنمية أضاع سكانها، أما حكم طلال وأعماله فقليلة الذكر ونحن نفهم هذا الاقتضاب بقدر ما نفهم الاهتمام الأساسي للآنسة غواشون بالملك الحالي وبحكومته، في هذه الفصول الثمانية والعشرين التي تكون هذا القسم رسمت الباحثة بكل دقة وضع المملكة الأردنية على امتداد العشرين سنة الأولى من تاريخها، كالسياسة الداخلية والخارجية للملك حسين ومواجهته لسياسة القاهرة والتنظيمات الفلسطينية العدائية وتحدثت عن الإجراءات التي اتخذت لتطوير الزراعة وتنمية المناطق الريفية، وعن المخططات الرامية إلى تأمين ري المناطق التي ما فتئت تتوسع، وكل هذا يمثل حسب قولها: "الأجوبة الأردنية والتي ترجمت في إنجازات مذهلة وإن كانت متفاوتة" وهي إنجازات رأتها الكاتبة قادرة على تحقيق تقدم مشهود لفائدة الأردن "بشرط ألا يقضي على تلك الجهود التعطش إلى التدمير الذي يحرك جيرانه" في إشارة منها إلى دولة إسرائيل وما شنته من حروب في المنطقة تضرر منها الأردن. ولم تكن تلك الصرخة إلا خلاصة مؤقتة، إذ الجزء الثاني، وبصرف النظر عن المدخل الذي اقتضته السنوات الخمس التي مرت على نشر الجزء الأول، إنما هو استئناف لتوصيف الأردن الحيّ: الأرض والسكان

وتعدادهم والتنظيم البلدي والجماعات الدينية، المسيحية منها بصفة خاصة، والتعليم والتعاونيات والعمل النقابي والخدمات الصحية والاقتصاد. في الأثناء كانت الآنسة غواشون ترد على ادعاءات أولئك الذين يتهمون الأردن بكونه باع نفسه للرأسماليين الأمريكيين والبريطانيين الذين لا يمكن إلا أن يكونوا مرتاحي الضمير حســـب رأيها طالما أنهم أسندوا إلى البلـد مساعدة بـ1.750.000 دينار في 1966 لفائدة السياحة وحدها، لقد قدمت عرضًا مفصلًا للإنجازات في مجالات الطرقات والنقل الجوي والاتصالات والبث الإذاعي والصحافة وأتبعت ذلك بفصل غير منتظر عن الأدب العربي بالأردن. وهنا يكتمل هذا العمل كما خططت له صاحبته منذ البداية، وإني لمقتنع بأن هذه الأقسام الثلاثة الأولى كانت قابلة بأن تنشر في جزأين بحجم متوازن تقريبًا وكان هذا ليجعلها أنسب للاستعمال ومن ثمة كان يمكنهما أن يسمحا بتقديم عرض عن الفترة اللاحقة لـ1967 مستند على توثيق في منتهى الثراء والثبات ومن ثمة أمنع عن أن يكون هدفًا للنقد. ومن المؤكد أن هذا هو ما كانت تنويه الآنسة غواشون، ولكن يبدو أنّها كانت مضطرة للأخذ بمقتضيات فنية والقبول بإدراج قسم رابع في الجزء الثاني بعنوان "ما بعد الحرب" وكان في حقيقة الأمر تحية منها لشجاعة الأردنيين ولائحة اتهام وإدانة لإسرائيل.

إن المعركة التي حدثت بعد وقف إطلاق النار، في مدينة القدس القديمة موصوفة بمنتهى التفصيل وبالاعتماد غالبًا على

شهود عيان، وقد قدمت معلومات مفصلة ودقيقة عن هجرات سكان الضفة الغربية الجديدة الناتجة عن تلك الحرب، وعن معركة الكرامة كما قدمت تحاليل معمقة لقوانين الطوارئ التي أصدرتها إسرائيل وطبقتها في الأراضي المحتلة مما سلط أضواء على سياسة لم تكن بعد معروفة، وبسطت صورة مفصلة عن الأوضاع المأساوية في تلك الأراضي حيث صارت موارد العيش قليلة جدًا، وجمعت شهادات كثيرة إسرائيلية وعربية حول التعذيب الذي سلطه الإسرائيليون على المساجين الفلسطينيّين. أما العرض المفصل الذي قدمته حول التنظيمات الفلسطينية فإنه وقف عند ما قبل 1970 لأن الكاتبة كانت وفية لمنهجها في جمع المعلومات مباشرة بينما هي لم تستطع التثبت من المعلومات التي وصلتها حول مقاومة الأردن "للإرهابيين" الذي تشير إلى مغالطاتهم وإلى أنهم يحملون فكرة خاطئة عن تاريخ البلد.

إنه لمن المستحيل أن نعرض في هذه المراجعة المحدودة كل ما حفل به هذا الكتابُ الضخمُ من التفاصيل والمعلومات والمعطيات الموجهُ نحو إظهار منجزات الأردنيين والعوائق الداخلية والخارجية التي اعترضت طريقهم إلى بناء دولتهم والجهود التي ما فتئوا يبذلونها من أجل أن يفهم الغربيون حقيقة الأوضاع. أما التوثيق، مكتوبًا كان أو شفويًا فإنه في منتهى الثراء والتنوع. ورغم نقدها لمنظمة الأمم المتحدة فإن الآنسة

غواشون قد وجدت في الوثائق التي أخذتها عنها من وجهات النظر المتعارضة ما مكّنها من أن تقارب الحقيقة من مختلف الزوايا، وقد استخدمت بالفعل تلك الوثائق استخدامًا واسعًا، وكانت إلى ذلك على اطلاع كبير على كل ما ينشر في موضوعها، وهي تستثمر النصوص الرسمية الراجعة إلى مختلف الحكومات ذات الصلة وتولي اعتبارًا مهمًّا للشهادات التي مدّتها بها شخصيات عديدة، مسيحية ومسلمة، ولم يمنعها تعاطفها الصريح من الاعتداد بفكرها النقدي، حتى وإن لم تكن النبرة في كل الأحوال في مستوى الهدوء المطلوب في معالجة مثل هذه الموضوعات الشائكة، والثابت أنه لا أحد بعد اليوم يستطيع أن يكتب شيئًا أو أن يعبر عن وجهة نظر قبل أن يطلع مسبقًا على كتاب الآنسة غواشون.

لوسي غولفان ومراجعتها للكتاب نفسه :[1]

تقول لوسي غولفان في هذه المراجعة:"لا أحد يعرف كل المشاكل والصعوبات التي تعترض هذا البلد الحديث النشأة معرفة أفضل من معرفة الآنسة غواشون بها" وهي التي بحثت فيها ودرستها بصرامة علمية ومنهجية كاملة. وبقدر الثناء على

(1) Lucie Golvin :A.M. Goichon : Jordanie réelle, compte rendu , Revue des Mondes Musulmans et de la Mediterranée , 1977, 23, pp233-236

الصرامة العلمية والدقة المنهجية وثراء المعطيات الميدانية والتوثيق أثنت لوسي غولفان كذلك على خصال أخرى ذات صلة بما تتسم به أعمال هذه الباحثة من بعد إنساني عميق ومن أخلاقيات عالية في التعامل مع موضوعها. إذ إنها لا تستنكف من إظهار تعاطفها إزاء من تراه جديرًا بذلك التعاطف، ولا تخجل من التعبير بوضوح وصراحة عن مشاعرها وعما يحدثه فيها الموضوعات التي تبحث فيها، كما لم تغفل عن إبداء إعجابها بشجاعة هذه الباحثة في إبداء مواقفها من دون حساب لأي شيء غير مصداقية الموقف إزاء ما تراه حقيقة وما تؤمن بكونه كذلك.

عودتنا هذه الباحثة على تحقيقاتها السوسيولوجية المطوّلة والحيوية بما تبثه فيها من مشاعر التعاطف، على غرار "حياة النساء بمنطقة المزاب" و"نساء البورجوازية الوسطى الفاسية"، لذلك لم يكن من المستغرب أن نراها تختلط بالشعب وتتبنّى مشاغله وتقاسمه معاناته اليومية وتشاركه إيمانه وآماله. إنها تبذل الجهد في متابعة تطور مجتمع يرفض أن يكون مدانًا ويقاوم من أجل الحياة، وهو يفعل ذلك مدفوعًا بهمّة قادته وذكائهم. إن الآنسة غواشون لا تخفي إعجابها العميق وتعاطفها إزاء "الملك الشاب" الذي يمثل صورة مجسدة لبلده والذي أذهلها بشجاعته وحيويته وحكمته.

نوهت لوسي غولفان كذلك بقدرة هذه الباحثة على التصرف في المعطيات بما تقتضيه خطة البحث وأهدافه، فهي قادرة على اختزال دقيق في صفحات لتاريخ يمتد زمنيًّا على قرون، بقدر ما هي قادرة على التوسع والتفصيل في بسط مشهد بسيط من حياة الناس اليومية. أما النزاهة العلمية الواضحة من خلال ما تعرض من معطيات وما تصف من مشاهد وما تصرح به من مواقف فإنها من الخصال التي تتمتع بها هذه الباحثة والتي لم تتوان لوسي غولفان عن التنويه بها كذلك، فهي على سبيل المثال تحدّد بكل وضوح ومصداقية المسؤوليات التاريخية عن الراهن الأردني، بدءاً من المستعمرين اليونان والرومانيين فسكان ما بين النهرين فالصليبيين وحملاتهم التي لم تفلح يومًا في تحقيق غاياتها، فالعثمانيين وما أحدثوه من شلل خلال عصر وسيط امتدّ بظلماته أكثر مما يحتمل، وصولًا إلى إسرائيل وما أحدثته من مشكلات واضطرابات في المنطقة، كل هؤلاء تعاملت معهم على قدم المساواة من حيث تعيين مسؤولياتهم عن المآل الذي انتهت إليه الأردن راهنا وعن المشاكل والصعوبات التي تواجهها. ومثلما نوهت بخصالها، لم تتوان عن الإشارة في هذا التقديم المختصر إلى بعض مآخذها عليها، ومنها خاصة تعاطفها الزائد مع الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية وإعجابها المبالغ فيه بحكمه وهو ما تعرض بشأنه لوسي غولفان بلا موضوعية الآنسة غواشون وبما قد يكون لذلك من أثر في

مصداقية شهادتها حول هذا البلد ونظام الحكم فيه، وحتى في مصداقية ما تقدّمه من معطيات، حتى إن غولفان لفتت نظرها إلى أن هذا الملك، وإن كانت لا تنكر الخصال التي نسبتها إليه الباحثة، فإنه مازال متمسكًا بالإبقاء على نظام حكم فيودالي/ إقطاعي يقوم على إرادة الحاكم المنفردة والحال أنه يعيش زمنيًّا في منتصف القرن العشرين!!

إن الكتاب الذي ألفته أميلي ماري غواشون هو عرض مطول لتاريخ دولة عربية صغيرة ولدت نتيجة تفكك الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية وحكمت عليها الجغرافيا الطبيعية بأن تكون محدودة الموارد وضعيفة الإمكانات الاقتصادية، إنها الأردن أو المملكة الأردنية الهاشمية التي تحدها شمالًا سوريا وشرقًا العراق وجنوبًا الجزيرة العربية ومصر ويحدها غربًا إسرائيل ومشاكلها ما يمنع عنها أي إمكانية للوصول إلى الساحل الخصيب للمتوسط. أربعة جيران أقوياء تبدو وكأنها تختنق بهم ولكن الخطر الأكبر يأتيها من إسرائيل ومن المهاجرين الفلسطينيين الذين لم يجدوا ملاذًا قريبًا من وطنهم المفقود بعد أن طردوا منه إلا في الأردن حيث يستطيعون المحافظة على عدائهم لمن طردهم من ديارهم حتى ولو كان ذلك على حساب قواعد الضيافة التي وجدوها في الأردن. وينضاف إلى هذه الأوضاع الجغرافية والجغرا-سياسية أن وجود الأردن نفسه يبدو موضوع شك وقد استوجب كثيرًا من الدماء لإنقاذ الوضع وكثيرًا من الصمود والديبلوماسية من أجل البقاء؛

ذلك أن ثلاثة أرباع مساحة البلد صحراوية قاحلة بينما وجدت منطقة الأردن الأدنى بواحاتها الغنية وبزراعاتها الخصبة نفسها الآن تحت الوصاية الإسرائيلية بفعل الحروب المدمرة، وهو ما يجعل البقاء بهذا الثمن الباهظ بمنزلة معجزة يومية ونجاح متجدد بلا توقف.

هذا وقد نوهت الكاتبة في أكثر من موقع في هذا التقديم، على قصره، بأسلوب الكاتبة الجامع بين الدقة في مستوى ما قدمت من معطيات ومعلومات حول الأردن ماضيًا وحاضرًا والأسلوب الممتع الذي يشد القارئ، وخاصة الفرنسي، الراغب في التعرف على هذا البلد خاصة وعلى العالم العربي عامة .

أنديه شوراقي يرد على شهادات الآنسة غواشون حول القدس ووضع اللاجئين الفلسطينيين[1]

نشرت الباحثة مقالها "التدمير الراهن لبيت المقدس" بمجلة علمية إيطالية عنوانها "المشرق الحديث" مختصة هي الأخرى في نشر الدراسات الاستشراقية، وقد دعت المجلة قراءها إلى التفاعل مع هذا المقال، ومن هذا الباب دخل أندريه شوراقي ليرد عليه في المجلة نفسها.

(1) Chouraqui, André. "L'ACTUELLE DESTRUCTION DE JÉRUSALEM." *Oriente Moderno*, vol. 53, no. 9, 1973, pp. 733–41, http://www.jstor.org/stable/25816028. Accessed 12 May 2022

جاء هذا الرد جامعًا بين حدة العبارة والتعريض بمصداقية ما قالته الباحثة في هذا المقال وفي بعض مؤلفاتها الأخرى على غرار مؤلفها حول الأردن؛ فضلًا عن شيء من السخرية في بعض المواضع، والتزامًا منا بالأمانة في عرض ما كتب عن ماري غواشون مهما اختلف بشأنها الآراء آثرنا أن نذكر هذا المقال رغم مآخذنا على مستواه العلمي المحدود وعلى غلبة الانفعال الإيديولوجي على هذا الردّ.

ذكر أن هذا المقال قرأه أناس لهم من حسن الظن ما قد يحملهم على تصديق ما جاء فيه بينما هو لا يشاركهم البتة في حسن الظن هذا، فالكاتبة في نظره وإن كانت على دراية بما يحدث في القدس بحكم أنها زارتها على حد قوله 14 مرة بين 1946 و 1973، مسيحية متحمسة، وهذا أول تعريض بمصداقية ما قالته بشأن "التدمير الحالي لبيت المقدس"، يقول " إنها قالت (بيت المقدس بصدد التدمير)، لا أكثر ولا أقل، جملة بدأت بها كلامها وظلت على امتداد المقال، ومن جملة إلى أخرى، تراكم التأكيدات والوقائع التي أوّلتها جميعها في الاتجاه نفسه الرامي إلى التأكيد على بشاعة الخطيئة التي تقترفها إسرائيل تحت غطاء سيادتها على عاصمتها في حق المدينة وفي حقّ النفوس المؤمنة بكونيتها على السواء. " وردًّا على هذا الرأي يقول شوراقي "إن المبالغات لا يعتدّ بها" وبفعل ذلك نوى الانصراف عن هذا المقال وعن دعوة المجلة إلى التفاعل معه ولكنه سريعًا ما تراجع

معتبراً أن الصمت على مثل هذا يمكن أن يؤخذ على أنه موافقة على ما تنشره " هيئات مختصة في البروباغندا وفي تزوير الحقائق ونشر الأكاذيب حول العالم وهي محمولة على أن تصدّق بحكم ما تملكه من قوة"، ولذلك رأى نفسه، وهو الذي يعيش ببيت المقدس، مطالبًا بأن يرد حتى يثبت ما يراه هو، وما يقول بشأنه "إن بيت المقدس ذات الأربعة آلاف سنة من التاريخ لم تشهد أبدًا إعادة بناء بالحماسة والموهبة والعمل والحب الذي تعرفه اليوم، وهي لم تكن يومًا مزدهرة ولا آمنة كما هي اليوم" ويضيف " إنه من السهل السخرية من التأكيدات التي تطبع مقالًا لم تتردد مؤرخة مسيحية في كتابته وتوقيعه ونشره وهي مطمئنة أنها قامت بعمل جيد بكل المقاييس" ولم يتردد في إدانتها واتهامها بأنها "تؤكد المواقف التي تشيعها المنظمات الفلسطينية". ولم يفتأ شوراقي يعبّر في هذا المقال عن إدانته العنيفة والممزوجة بكثير من السخرية لهذه الشهادة التي قدمتها الآنسة غواشون عن وضع القدس زمن تأليف المقال؛ أي: في منتصف السبعينات من القرن العشرين، واعتبر أن تلك الشهادة لا تقول الحقيقة الموضوعية والميدانية بل هي تعبر عن وجهة نظر دينية مسيحية يغلب عليها الحماسة والانفعال والموالاة للموقف العربي الإسلامي؛ لذلك عاب عليها أنها لم تأخذ الحقائق من مواردها الصحيحة واعتمدت على معطيات يعتبرها مزورة، والحال أنه يعترف بأنها كانت دائمة الزيارة إلى المدينة، كما

اتهمها بتزوير التاريخ عندما حملت دولة إسرائيل مسؤولية اضطرار مسيحيّي القدس إلى مغادرتها حتى يتسنى لها تغيير هوية المدينة من مدينة كونية احتضنت الأديان التوحيدية الثلاثة وتعايش في فضائها المؤمنون من كل هذه الأديان إلى مدينة يهودية تعادي المسيحيين والمسلمين معًا وتمارس عليهم من العنف والتهجير ما جعل حضورهم في المدينة يتقلص باستمرار. لكن شوراقي، الذي يعتمد بوضوح الطريقة الحماسية والانفعالية نفسها التي يعيبها على غواشون، ويسخر بسببه منها، لا يعتمد إلا المعطيات المستقاة من المصدر المقابل ولا يعبّر إلا عن وجهة نظر الطرف الآخر وهو دولة إسرائيل، حيث يُرجع اضطرار مسيحيّي فلسطين إلى مغادرتها إلى الممارسات السيئة التي تعرضوا لها من السلطات الأردنية باعتبار أنها هي التي تشرف على القدس الشرقية. وقد استطرد طويلًا في استعراض وجوه من تلك الممارسات مثلما استطرد مطولًا في المقابل في استعراض الإجراءات التي قامت بها دولة إسرائيل لفائدة سكان القدس من المسيحيين لتشجيعهم على البقاء في مواطنهم مؤكدًا على أن مصلحة دولة إسرائيل نفسها تقتضي أن تحافظ على مسيحيي فلسطين وأن ترعاهم وتحترم حقوقها بحكم الحاجة إلى تطوير العلاقات مع البلدان الغربية التي تنتمي شعوبها إلى المسيحية. وبذلك بدا شوراقي في رده على الآنسة غواشون انفعاليًّا وغير موضوعي في

معالجة الموضوع، فكان كلاهما يعبّر عن وجهة نظر وعن مواقف تعكس قناعاته الخاصة أكثر مما تعكس الحقيقة الميدانية بما يقتضيه البحث العلمي من موضوعية ونزاهة وحياد، وكلاهما كان في موقفه الخاص محمولًا باقتناعاته الدينية والإيديولجوجية وكلاهما يدافع عن المجموعة التي ينتمي إليها. وفي كل الأحوال يمكن أن نجد في ما يتسم به رد شوراقي على الآنسة غواشون من عنف يتجلى في السخرية منها وفي اتهامها بالحماسة الدينية المفرطة الذي منعتها عن رؤية الحقيقة الموضوعية على الميدان والتعريض بولائها إلى الموقف العربي-الإسلامي وتعبيرها عن وجهة نظر السلطة الأردنية حيث استخدم في أكثر من موقع عبارة jordanie réelle وهو يتحدث عما "اقترفته" السلطة في المملكة الأردنية الهاشمية التي كانت تبسط وصايتها على القدس الشرقية من سوء معاملة في حق المسيحيين، وفي هذا الاستعمال تعريض واضح بولاء الآنسة غواشون للسلطة الأردنية التي عبرت في كتابها الموسوم بالعنوان نفسه عن إعجابها بما تبذل من جهود في سبيل النهوض ببلادها وتقديم المساعدة لفائدة اللاجئين الفلسطينيين.

كما يظهر بوضوح أن الاختلاف الحقيقي بين شوراقي وغواشون بشأن هذا الموضوع لا يعود إلى اختلاف في نسب الموضوعية ولا في نوعية المنهج المعتمد، وإنما يعود إلى المواقف الخاصة بكل منهما من مسألة "كونية مدينة بيت المقدس" ففي

حين تتبنى الآنسة غواشون وجهة نظر تعتبر بمقتضاها أن كونية هذه المدينة المقدسة مستمدة من كونها تشمل الأديان الثلاثة ويتعايش فيها المؤمنون جميعهم وللمحافظة على طابعها التاريخي والروحي والإنساني هذا استوجب الأمر ألاّ ينفرد بالسلطة عليها أي منها، يعتبر شوراقي أن "الطبيعة العبرية لهذه المدينة، عاصمة دولة إسرائيل، ليست متعارضة مع كونيتها بل هي تشكل شرط تطورها وكونيتها"[1] على حد قوله. توسع شوراقي في رد ما كشفت عنه الآنسة قواشون من مخططات دولة إسرائيل لتهويد مدينة القدس وحاول بسط الحجج التي ترد على ما كشفت عنه، واعتبر موقفها معبراً عن تصورات متخيلة لا حقيقة لها في أرض الواقع، بل ذهب إلى حد القول بأن ما تقوم به دولة إسرائيل مندرج في إطار حماية معالم المدينة الدينية سواء أكانت مسيحية أو إسلامية والعمل على تطويرها والإبقاء على طابعها، ولكن قارئ هذين المقالين، مقال الآنسة غواشون هذا وسائر مقالاتها عن فلسطين وعن اللاجئين الفلسطينيين، وردّ أندريه شوراقي عليه، والناظر في ما قدّمه كل منهما على ضوء واقع مدينة القدس اليوم لا يسعه أن يشاطر شوراقي دفاعه أو أن يسلّم بصحة ما أورده من حجج؛ لأن كثيراً من الوقائع المشاهدة عياناً على أرض الواقع اليوم ترجح صحة ما استشرفته الآنسة غواشون من مستقبل هذه المدينة بعد نصف قرن على كتابته.

(1) المرجع السابق، ص 736

يعيب أندريه شوراقي على الآنسة غواشون الانفعال المبالغ فيه والحماسة المفرطة مما يخرجها عن طورها ويمنعها من رؤية الحقائق الميدانية ومن الأخذ بالمعطيات إلا من المصادر التي تريدها وتختارها هي، زاعمًا أن "مسيحيّتها" الحماسية من جهة وتعاطفها غير الموضوعي مع الفلسطينيين والعرب، رغم تعريضه بكونهم لا يستحقون منها مثل ذلك التعاطف، هما ما منعها من رؤية ما يزعم كونه "حقيقة" ويؤكد في المقابل أنها ليست مطلعة اطلاعًا كافيًا على المعطيات الميدانية ولا على كل الروايات التاريخية، وإنما اقتصرت على الروايات المعبرة عن وجهة النظر المسيحية والإسلامية ولم تأخذ في الاعتبار التاريخ من وجهة النظر اليهودية، والحال أن قراءة شارل بيلا العلمية لعملها حول الأردن ولما جاء فيه حول ما تعرضت له الأراضي المحتلة وسكانها من تهجير تفيد بعكس ما قاله، مثلما سلف ذكره، وكذلك الأمر بالنسبة إلى روجي عكريش الذي رد على مقال من مقالاتها حول اللاجئين الفلسطينيين بالأردن في المجلة نفسها التي أصدرت مقالها، ذلك أنه لم ينكر الحقائق التي أوردتها في الموضوع وإن عاب عليها أن وجهة نظرها بشأن تلك الحقائق منحازة إلى طرف بعينه وأن زاوية نظرها للموضوع محكومة بموقفها المساند للموقف الأردني[1].

(1) AKRICHE, ROGER. "Le Problème Des Réfugiés et Le Conflit Israélo-Arabe Propositions Pour La Paix." *Esprit (1940-)*, no. 352 (9), 1966, pp. 273–305, http://www.jstor.org/stable/24258359

في باب الرد على التهم التي وجهتها الآنسة غواشون لدولة إسرائيل بتدمير مدينة بيت المقدس وبتغيير طبيعتها الكونية وتحويلها إلى مدينة يهودية انخرط شوراقي في استعراض ما أوقعه "المسيحيون" بالمدينة من دمار تكرر مرات مع الإمبراطورية الرومانية مرة ومع البيزنطيين مرة أخرى، ثم ما أوقعه بها المسلمون وما عرفته تحت سلطتهم من تخلف وهوان، وصمت صمتًا كاملًا عن كل حقب الازدهار التي شهدتها المدينة على مر تاريخها المسيحي-الإسلامي، بينما يؤكد بكل وسائل التأكيد على أن المدينة لم تعش طيلة تاريخها الازدهار والنمو والبناء الذي تعيشه في تلك الحقبة بوصفها "عاصمة دولة إسرائيل".

من باب الدفاع عن إسرائيل ورد التهم التي وجهتها لها الآنسة غواشون ومنها خاصة عملها الهيكلي على تغيير الوجه الكوني لهذه المدينة المقدسة الحاضنة لكل المؤمنين من مختلف الأديان التوحيدية،[1] ومن باب السعي إلى استقطاب التعاطف المسيحي، أنكر شوراقي ما قدمته غواشون من معطيات عن التضييق على سكان المدينة من المسيحيين والمسلمين من أجل دفعهم قسرًا إلى تركها، مقابل إثبات أن المسيحيين لم يتعرضوا إلى أي شيء مما ذكرت وإنما بالعكس من ذلك

(1) جاء هذا خاصة في كتابها:
Jérusalem fin d'une ville universelle? Paris, Maisonneuve, 1976.

عملت دولة إسرائيل على تقديم الخدمات التي تشجعهم على البقاء بحجة حاجة إسرائيل إلى ضمان حسن علاقاتها بأوروبا والموالاة المسيحية، ولكنه في المقابل لم ينكر ولم يتعرض إلى ما كان يعانيه أهل بيت المقدس من المسلمين وكأن هذا الوجه من الموضوع لا يستحق عنده الاهتمام، بل إنه، ومن باب الإيهام بالدقة التي تضمنها الإحصائيات، قال إن سكان بيت المقدس من المسيحيين الذين يمثلون يومها 25 بالمائة من مجموع سكانها سيصبحون سنة 1990 خمسين بالمائة، وحسب نسق التطور هذا يفترض أن يزيد عددهم على النصف في الوقت الراهن، إلا أن الإحصائيات الحديثة تبين أن عدد المسيحيين بالقدس، والذين كانوا يمثلون ما يناهز نصف مجموع سكانها قبل 1948، أصبح 4 بالمائة، وعند العودة إلى وثائق عقد الأربعينيات من القرن الماضي نجد أن أزيد من نصف سكان بيت المقدس كانوا من المسيحيين وأنهم فقدوا آنذاك مساكنهم إمّا بسبب التدمير وإمّا بسبب استيلاء المستوطنين "الجدد" عليها.

وفي العموم لم يتوان أندريه شوراقي عن اعتبار ما جاء في مقال الآنسة غواشون هذا مجرد اتهامات باطلة، فهل يصدّق الحاضر، بعدما يناهز النصف قرن عن نشر المقالين، ما استشرفته هي، سواء في مقالها هذا أو في كتابها "القدس: هل هي نهاية مدينة كونية؟" من مستقبل بيت المقدس أم ما حاول أن يقنع به هو؟

الخاتمة

هذه هي الآنسة أميلي ماري غواشون المستعربة الفرنسية التي عاشت في حقبة كاد الاستعراب فيها أن يكون مقتصرًا على الرجال، مسيرة حياتية فرغت فيها نفسها للتعلّم وللبحث والتأليف، ومسيرة علمية وجّهت فيها جهدها وعنايتها وجهة الثقافة الإسلامية وواقع البلدان العربية المعاصر بمكوّناتها البشرية والاجتماعية والثقافية وبأوضاعها العامة وقضاياها ومشاغلها. لم تكن تكتب ببرودة عقل العالم فحسب بل إنها كتبت أيضًا بحماسة الموقف الإنساني المؤمن بالقيم السامية، وهي، وإن لم تتخلّص كليا من ضغط منظومة الاستشراق بما لها من خصال وما عليها من مآخذ كشفها النقد ما بعد الكولونيالي، فإنها كانت حريصة على الالتزام بالحقيقة كما أدركها عقلها وتمثلتها في ضميرها وكما شاهدتها عيانًا في تحقيقاتها الميدانية، وقد بدا لنا هذا الالتزام، خاصة عندما يتعلق الأمر بقضايا سياسية ما تزال موضع صراع واختلاف وتباين، أحد الأسباب التي تفسر محدودية العناية بأعمالها.

ولذلك نرى أن كثيرًا من تلك الأعمال مازال لم يكتشف بعد، وهي تعالج موضوعات مازالت تحظى باهتمام الباحثين

ومازال فيها ما هو جدير بالدراسة والتحقيق والاكتشاف، وتتوفّر على معطيات ووثائق ما زالت قابلة للاستثمار في البحث العلمي. وإنّ الباحثين العرب خاصّة لمدعوّون إلى اكتشاف التراث الكبير من التقارير والدراسات الميدانية والتحقيقات التي أنجزتها في كثير من البلدان العربية عسى أن يسهم ذلك في تعميق معرفتنا بتاريخنا المعاصر، ولعل هذا الكتيّب التعريفي يسهم في دفع البحث العلمي العربي إلى إيلاء هذه الباحثة وما أنجزته ما يستحقّان من العناية.

فهرست القائمة البيبليوغرافية

حرصًا منا على تعريف القراء الناطقين بالعربية بما ألفته هذه المستشرقة حاولنا أن نعرب عناوين مؤلفاتها وأن نرتبها بحسب أجناسها (كتب/مقالات/ترجمات) وبحسب مجالات اهتمامها

1) ثبت بأعمال غواشون حول ابن سينا وفلسفته :

الكتب

- La distinction de l'essence et de l'existence d'après Ibn Sīnā (Avicenne) / par Amélie-Marie Goichon,.. / Paris : Desclée de Brouwer , 1937

- التمييز بين الماهية والوجود عند ابن سينا، وهذا الكتاب هو في الأصل الأطروحة الأساسية لشهادة الدكتوراه التي قدمتها إلى جامعة باريس، كلية الآداب، ثم نشرتها بباريس عند دوسلي دي بروار سنة 1937

- Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sīnā (Avicenne) Paris; Desclée de Brouwer , 1938

- معجم لغة ابن سينا الفلسفية، وهذا الكتاب هو الآخر أطروحة مكملة للأطروحة الأساسية المذكورة سابقًا، ونشرته بعدها بسنة واحدة عند الناشر نفسه، ثم أعادت نشره سنة 1939 بعد أن زادت عليه قسما فيه مقارنة بين معجمي المصطلحات الفلسفية لكل من ابن سينا وأرسطو:

- A.-M. Goichon: La philosophie d'Avicenne et son influence en Europe médiévale, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1944.

- فلسفة ابن سينا وتأثيرها في أروبا خلال العصر الوسيط، باريس، مكتبة أمريكا والشرق، 1944.

- Une logique moderne à l'époque médiévale : la logique d'Avicenne / A. M. Goichon / Paris : libr. philosophique J. Vrin , 1948

- منطق حديث في العصر الوسيط: منطق ابن سينا، باريس، المكتبة الفلسفية، جول فران، 1948

- L'évolution philosophique d'Avicenne/ par A. M. Goichon / [Paris] : Presses universitaires de France , [1948?]

- تطور فلسفة ابن سينا، باريس، منشورات فرنسا الجامعية، 1948

- L'influence d'Avicenne en Occident / [A. M. Goichon] / Tunis : impr. N. Bascone & S. Muscat , 1952

- تأثير ابن سينا في الغرب، تونس، مطبعة باسكون وموسكا، 1952

- Réponse aux "récentes études avicenniennes" de M. Georges Vajda / A. M. Goichon / Paris : libr. orientaliste P. Geuthner , 1952

- رد على "دراسات سينوية جديدة" لجورج فاجدا، باريس، المكتبة الاستشراقية بول غوتنار، 1952

- La démonstration de l'existence dans la logique d'Avicenne / A. M. Goichon / Téhéran : [Impr. de l'université] , 1963

- البرهنة على الوجود في منطق ابن سينا، طهران، مطبعة الجامعة، 1963

- Le millénaire d'Avicenne à Téhéran / par Amélie-Marie Goichon / [Paris : s.n. , 1954]

- ألفية ابن سينا بطهران، باريس، د. ن، 1954

- La personnalité d'Ibn Sina / Amélie Marie Goichon / [S.l.]: [s.n.] , 1950

- شخصية ابن سينا، د.ن، د.ط، 1950

المقالات :

- L'utilisation des racines arabes dans le vocabulaire philosophique d'Avicenne: [communication au 58e Congrès de l'Association française pour l'avancement des sciences, Rabat, 1934] / Amélie Marie Goichon / [Ville de publication inconnue] : [Editeur inconnu] , 1934

- استعمال الجذور العربية في معجم ابن سينا الفلسفي، مداخلة قدمتها بالرباط في مؤتمر الجمعية الفرنسية للتقدم العلمي سنة 1934

- Goichon, Amélie-Marie. Une Logique à l'époque médiévale. La Logique d'Avicenne (1948)- In: Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge vol. 16 (1948) p. 53-68

- علم المنطق في العصر الوسيط: منطق ابن سينا، مقال منشور في "أرشيف التاريخ المذهبي والأدبي في العصر الوسيط" المجلد 16، 1948

- Goichon, Amélie-Marie. L'évolution philosophique d'Avicenne (1948) - In: Revue philosophique de la France et de l'étranger vol. 138 (1948) p. 318-329

- تطور فلسفة ابن سينا، مقال منشور في "المجلة الفلسفية لفرنسا والخارج" المجلد 138، سنة 1948.

- Goichon, Amélie-Marie. L'influence d'Avicenne en Occident (1952) - In: Ibla vol. 14 (1951) p. 373-386

- تأثير ابن سينا في الغرب، مقال منشور بمجلة معهد الآداب الجميلة بتونس، العدد 14، لسنة 1951

- Goichon, Amélie-Marie.Le Philosophe de l'être (1952) - In: Ibla vol. 15 (1951) p. 49-61

- فيلسوف الوجود، مقال منشور بمجلة معهد الآداب العربية الجميلة بتونس، العدد 15 لسنة 1951

- La Découverte de la circulation pulmonaire par un médecin arabe au XIII^{e} siècle / par le Dr A. Hahn... et A. M. Goichon... / [Paris] : [Masson] , 1952

- اكتشاف طبيب عربي من القرن الثالث عشر م/السابع هـ للدورة الدموية الرئوية، مقال بالاشتراك، باريس 1952.

- Un chapitre de l'influence d'Ibn Sina en Occident : Le "de ente et essentia" de Saint Thomas d'Aquin Texte imprimé / [S. l. ?] [1956?]

- فصل من تأثير ابن سينا في الغرب، "الجوهر والوجود" للقديس طوما الإكويني، نص مرقون، د.ن. 1956؟

- A. M. Goichon :Le prétendu ésotérisme d'Avicenne dans le récit de Havy ibn Yaqzan ،Torino : Societa editrice internazionale , [1959]

- دعوى الباطنية المنسوبة إلى ابن سينا في حكاية "حي ابن يقظان" طورينو، إيطاليا، شركة النشر العالمية، 1959

- La Démonstration de l'existence dans la logique d'Avicenne Texte imprimé / [S. l. ?] [1963?]

- البرهنة على الوجود في منطق ابن سينا، مقال مرقون، د. ن. 1963؟

- L'exegèse coranique d'Avicenne jugée par Averroes / A. M. Goichon / Madrid : Imprenta y editorial Maestre, 1964

- تفسير ابن سينا للقرآن بتقييم لابن رشد، مدريد، 1964

- Amélie-Marie Goichon: Le sirr "l'intime du coeur" dans la doctrine avicennienne de la connaissance Bratislava : [Vydavateľstvo Slovenskej akadémie vied] , 1965

- "السرّ" في عقيدة ابن سينا العرفانية، براتيسلافا، 1965

الترجمات

- Introduction à Avicenne : son épître des définitions / A.-M. GOICHON ; préface de Miguel ASÍN PALACIOS. / Paris : Desclée de Brouwer (DDB), 1933.

- وقد أعادت نشره بالقاهرة في طبعة منقحة ومصححة:

- Livre des définitions / Avicenne / édité, traduit et annoté par A.-M. Goichon / Le Caire : Institut français d'archéologie orientale du Caire , 1963

- كتاب الحدود / [ابن سينا] ؛ حققته وترجمته وعلقت عليه أملية مارية جواشون / القاهرة: منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1963

- Réfutation des matérialistes / Jamāl al-Dīn al-Afghānī ; traduction sur la 3e édition arabe avec introduction et notes par A.-M. Goichon,... / Paris : Librairie orientaliste Paul Geuthner , 1942

- رسالة الرد على الدهريين، جمال الدين الأفغاني، ترجمة فرنسية للطبعة الثالثة مع مقدمة وهوامش، باريس، 1942.

- Livre des directives et remarques : [Kitāb al-ʾišārāt wa al-tanbīhāt] / Ibn Sīnā [Avicenne] ; traduction avec introduction

et notes par A.-M. Goichon / Beyrouth : Commission internationale pour la traduction des chefs-d'oeuvre , 1951

- كتاب الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، ترجمة وتقديم وتعليق أميلي ماري غواشون، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الأعمال الكبرى، 1951، وقد أعيد طبع هذا الكتاب ونشره سنة 1999 بمساهمة من المنظمة الأممية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)

- Livre des directives et remarques Texte imprimé ; trad., introd. et notes par A.-M. Goichon Avicenne / Paris J. Vrin Unesco 1999 52-Langres Impr. D. Guéniot Le récit de Ḥayy Ibn Yaqẓān : commenté par des textes d'Avicenne : avant-propos, traductions, explications et notes / A.-M. Goichon / Paris : Desclée de Brouwer , 1959

- حكاية حي ابن يقظان مع تعاليق من نصوص ابن سينا، مدخل وترجمة وشرح وتعاليق لأميلي ماري غواشون، باريس، 1959.

2- الدراسات الإتنوغرافية الميدانية والتحقيقات السوسيولوجية وتاريخ البلدان العربية المعاصر :

أ- في سوسيولوجيا الإسلام والمجتمعات المغربية، بين الاستعراب والإثنوغرافيا

- La cuisine et les parfums au Mzab / par Mlle A. M. Goichon / Paris : Société française d'ethnographie , 1926

- المطبخ والعطور بمنطقة المزاب، باريس، المؤسسة الفرنسية للإتنوغرافيا، 1926

- La formation du groupe mozabite et sa législation familiale / Amélie Marie Goichon / Paris : in Rivière , 1926

- تشكّل الجماعية المزابية وتشريعها العائلي، باريس، 1926

- La femme dans le milieu familial à Fez : rapport de mission / Amélie Marie Goichon / Paris : comité de l'Afrique française , 1929

- المرأة في الوسط العائلي بمدينة فاس، باريس، لجنة إفريقيا الفرنسية، 1929

- Quelques scènes de vie saharienne : Ghardaïa / Amélie Marie Goichon / Paris : Larose , 1929

- مشاهد من الحياة الصحراوية بمدينة غرداية، باريس، 1929.

- La femme de la moyenne bourgeoisie fāsīya / A.-M. Goichon / Paris : P. Geuthner , 1929

- امرأة البرجوازية الوسطى الفاسية، باريس، 1929

- Etude de sociologie religieuse : la vie féminine dans une secte musulmane du Sahara / Amélie Marie Goichon / Paris : Desclé de Brouwer , 1929

- دراسة في السوسيولوجيا الدينية: الحياة النسائية في طائفة إسلامية بالصحراء، باريس، 1929.

- La vie féminine au Mzab : étude de sociologie musulmane / A.M. Goichon ; préface de William Marçais / Paris : Librairie Orientaliste Paul Geuthner , 1927-1931

- حياة النساء بالمزاب، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام. تقديم ويليام مارسيه، باريس، جزءان، 1927، 1931.

- La situation de la femme d'après les coutumes berbères / Amélie Marie Goichon / Lyon : bur. Propagation de la foi, 1931

- وضع المرأة من خلال العادات البربرية، ليون، مكتب نشر الإيمان، 1931.

- L'artisanat à Fès : crise actuelle : remèdes possibles / Amélie Marie Goichon / Paris : Comité de l'Afrique fran çaise , 1937-1938.

- الصناعات التقليدية بمدينة فاس: الأزمة الراهنة والعلاج الممكن، لجنة إفريقيا الفرنسية، 1937-1938.

- La broderie au fil d'or à Fès : ses rapports avec la broderie de soie, ses accessoires de passementerie / A. M. Goichon / Paris : Larose , [1939

- التطريز بخيط الذهب بفاس وصلاته بتطريز الحرير ومكملات زركشته، باريس، 1939.

- La destinée de la femme selon l'Islam et selon Saint Paul / A. M. Goichon / [Fribourg] : [s.n.] , [1955]

- مصير المرأة في الإسلام وعند القديس بول، فريبورغ، د. ن.، 1955

- Le grand public et le mouvement des idées en terre d'Islam / Amélie Marie Goichon / Juvitry : Ed. au Cerf , 1931

- الجمهور العريض وحركة الأفكار بأرض الإسلام، باريس، 1931.

ب : دراسات في تاريخ البلدان العربية المعاصر :(ترتيب تاريخي بسنة الصدور)

- Le panislamisme d'hier et d'aujourd'hui / Amélie Marie Goichon / Paris : [s.n.] , 1950

- الوحدة الإسلامية بين الأمس واليوم، باريس، د.ن.، 1950

- La Transformation des structures sociales au Liban sous l'influence de l'évolution technique : Rapport établi selon le questionnaire de l'UNESCO pour le symposium international de sciences sociales en Grèce, 8-15 octobre

1952 Lu à Athènes par Mgr Jean Maroun / Amélie-Marie Goichon ; Jean Maroun / [S. l.] : [S. n.] , [1952]

- تحولات البنى الاجتماعية بلبنان بتأثير التطور التقني، تقرير معتمد على استفتاء اليونسكو لصالح المؤتمر الدولي للعلوم الاجتماعية المنعقد باليونان، 1952، بالاشتراك مع جان مارون

- Les Coopératives agricoles en Egypte et en Jordanie، Amélie-Marie Goichon، [S. l.]، [S. n.], 1963.

- التعاونيات الزراعية بمصر والأردن، مقال مرقون، د.ن.، د. ط.1963.

- L'eau : Problème vital de la région du Jourdain. / Bruxelles : Centre pour l'Etude des Problèmes du Monde Musulman Contemporain, 1964.

- الماء مشكل حيوي بمنطقة نهر الأردن، بروكسال، مركز دراسات قضايا العالم الإسلامي المعاصر، 1964

- Les réfugiés palestiniens en Jordanie / Amélie Marie Goichon / [Paris : Esprit] , 1964

- اللاجئون الفلسطينيّون بالأردن، 1964

- L'aménagement de la vallée syrienne de l'Oronte : trois barrages transforment les marais du Ghâb / Amélie Marie Goichon / [Paris] : [Société d'études et de publications Orient] , [1965]

- تهيئة نهر العاصي السوري: جسور ثلاثة تحول مستنقعات منطقة الغاب، باريس، شركة الدراسات والنشر المشرق، 1965

- Les Responsabilités de la guerre de Palestine / A. M. Goichon / Bruxelles : Centre pour l'étude des problèmes du monde musulman contemporain , 1965

- مسؤوليات حرب فلسطين، بوكسال، مركز دراسات قضايا الالم الإسلامي المعاصر، 1965.

- Importance des coopératives en Jordanie / Paris : Institut des Etudes coopératives , [1966]

- أهمية التعاونيات بالأردن، باريس، معهد الدراسات التعاونية، 1966.

- La Transformation de l'économie jordanienne / Amelie Marie Goichon / Paris : Orient , 1969

- تحول الاقتصاد الأردني، باريس، المشرق، 1969.

- Un récent voyage en Jordanie libre et occupée / Amelie M. Goichon / [Bruxelles : Wyckmans , 1970]

- رحلة حديثة إلى الأردن المحرّر والمحتلّ، بروكسال، 1970

- L'Histoire de la Jordanie , de la Première guerre mondiale à 1950, par A.M. Goichon.. Texte imprimé / Paris (7e) France Pays arabes , s.d

- تاريخ الأردن من الحرب العالمية الأولى إلى 1950، نص مطبوع، باريس، فرنسا-البلدان العربية، د. ت.

- **A.-M. GOICHON, Jordanie réelle, I, Desclée de Brouwer, Paris 1967, 1 vol. in-8° de XVII + 580 pp. ; II, G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1972, 1 vol. in-8° de XVI + 1444 p**

- "الأردن الحقيقي"، ج1، باريس 1967، ج2، باريس 1972

- L'actuelle destruction de Jérusalem, A. M. Goichon, Oriente Moderno Anno 53, Nr. 3 (Marzo 1973), pp. 271-280

- التدمير الراهن لبيت المقدس، مجلة "المشرق الحديث" الإيطالية، السنة 53، العدد 3، آذار، 1973.

- Jérusalem, fin de la ville universelle? / A. M. Goichon / Paris : G.-P. Maisônneuve & Larose , 1976.

- بيت المقدس: أهي نهاية مدينة كونية؟، باريس، 1976.

3- مواضيع عامّة :

- Ernest Psichari et ses guides musulmans / A. M. Goichon ; d'après des documents inédits ; Préface par Jacques Maritain. / Nouvelle édition augmentée d'un appendice / Paris : Plon , 1925 , 1ère éd. 1921
- Le R. P. de Foucauld et le retentissement de son œuvre missionnaire / Amélie Marie Goichon / Paris : Association Charles de Foucauld , 1933
- Nos responsabilités coloniales / Amélie Marie Goichon / Paris : Ligue missionnaire des étudiants de France , 1933
- Terrains privilégiés de collaboration avec les musulmans / Amélie Marie Goichon / Paris : Comité de l'Afrique française , 1938
- L'enseignement actuel de l'arabe / Amélie Marie Goichon / [S. l.] : [s. n.] , 1940
- Le Pardon / Amélie-Marie Goichon / Paris : les Éditions du Cerf (impr. de A. Marchand) , 1946
- La France et la culture en pays arabes / Amélie Marie Goichon / Paris : Ed. du Cerf , 1947
- Philosophie et histoire des sciences / Amélie-Marie Goichon / Tunis : Impr. S.A.P.I , 1955
- Rapports de mission 1924-1955 : [mission au Maroc, aout-oct. 1924 - en Egypte, 1946 opposition au projet d'un Centre de coopération intellectuelle franco-oriental 1946-1949, Rapport sur un séjour en Syrie 1955] / Amélie-Marie Goichon / [S. l.] : [S. n.] , [1955]

مراجع الكتاب :

- سامية نور الدين شلاط (مترجمة): الحياة النسوية في المزاب، تأليف أميلي ماري قواشون، الجزائر، دار نزهة الألباب للطباعة والنشر والتوزيع، 2019
- عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقّحة ومزيدة، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993
- فاطمة البكوش: وليام مارسيه، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2020
- الهواري غزالي: دونيز ماسون، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2019
- يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، كتب عربية، القاهرة، 2005
- Alain Messaoudi :LES ARABISANTS ET LA FRANCE COLONIALE. 1780-1930, Annexe; Lyon, ENS éditions; 2015, https://books.openedition.org/enseditions/3710
- André, Chouraqui: "L'ACTUELLE DESTRUCTION DE JÉRUSALEM." *Oriente Moderno*, vol. 53, no. 9, 1973, pp. 733–41, http://www.jstor.org/stable/25816028
- Charles, Pellat: (1973). A.-M. GOICHON, Jordanie réelle, I, Desclée de Brouwer, Paris 1967, 1 vol. in-8° de XVII + 580 pp. ; II, G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1972, 1 vol. in-8° de XVI + 1444 p, *Arabica*, *20* (2), 207-209. https://doi.org/10.1163/157005873X00455
- Claude, Milliot: la condition de la femme musulmane au Maghreb , Paris, 1910

- Dominique Avon :Les Frères prêcheurs en Orient: les dominicains du Caire (années 1910 -années 1960), Paris, éd. du CERF, 2005
- Fernand Van Steenberghen. A.-M. Goichon, La distinction de l'essence et de l'existence d'après Ibn Sīnā (Avicenne). In: Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, tome 45, n°5, 1947. pp. 109-111;
  https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1947_ num_45_5_4096_ t1_ 0109_0000_2
- Lucie Golvin : A.M. Goichon : Jordanie réelle, compte rendu, Revue des Mondes Musulmans et de la Mediterranée, 1977, 23, pp. 233-236
- Pouillon François (dir.), *Dictionnaire des orientalistes de langue française*, Paris, IISMM-Karthala, 2008
- ROGER , Akriche: "Le Problème Des Réfugiés et Le Conflit Israélo-Arabe Propositions Pour La Paix." *Esprit (1940-)*, no. 352 (9), 1966, pp. 273–305
  http://www.jstor.org/stable/24258359
- T. Morenbert : Dictionnaire de biographies françaises, T. 16, col. 503, Paris, 1985.